فِقْه السِّيرة
مِنْ خِلال غَزْوَة أُحُد

الصادق مُحمَّد الخوني

أستاذ مشارك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية،

جامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في / / هـ ؛ وقبل للنشر في / / هـ)

ملخص البحث . تمثل غزوة أحد في تاريخ السيرة النبوية محطة هامّة ، وقعت فيها هزيمة ميدانية للمسلمين دون أن يكون لذلك تأثير على مصير الحرب الشرعيّة التي يقومون بها من أجل تبليغ الدعوة وتأمين حريتها . إننا ندرس أحداث السيرة لأنها تجسيد حي لتعاليم الإسلام وندرسها أيضا لنستفيد منها في حياتنا ، ومن ذلك أننا إذا درسنا الانتصارات فإنها تزيدنا ثقة بالنفس وتعيد لنا معنوياتنا المفقودة . وإذا درسنا منها هذه الهزيمة الميدانية في أحُد مثلا فذلك من أجل أن نأخذ منها العبرة ، وإذا انهزمنا في معركة فهذا لا يعني أننا خسرنا الحرب ، وعلينا أن ننهض بعدها لمواصلة المشوار ما دام الهدف الذي نعمل على بلوغه هو هدف يتميّز بالسمّو وخاصة إذا كان دينا سماويّا .

كما أن هذه الغزوة وغيرها من أحداث السيرة النبوية تزخر بالدروس المتنوّعة ما دام من يقودها هو رسول يُوحى إليه أوّلا وهو عظيم من عظماء التاريخ ثانيا .

استعرضت في البحث ظروف هذه الغزوة ثم قمت بالبحث عما تحمله من دروس وعبر يُستفاد منها جاعلا الأحداث تعبّر عما فيها بكل صدق ودون تعسف .

مقدّمة

لقد وقع اختياري على غزوة أحد لِدِراستِها بسببٍ أنّها محطّة هامّة في السيرة النبوية لحقت فيها بالمسلمين هزيمة في وقت قريب من انتصار سابق في بدر.

إنّه مثلما نحن في حاجة إلى الإطلاع على انتصاراتنا لنفتخر بها ونتنتشي ، ونعيد الثقة إلى أنفسنا ، فنحن في حاجة أيضا إلى معرفة الهزائم لنعتبر منها خاصّة واللافت للانتباه أنّ هزيمة أحد وقع تجاوزها بسرعة وكانت نقطة انطلاق جديدة في مسيرة الدعوة الإسلاميّة التي انتصرت في النهاية ، بحيث لم تؤثر فيها هذه النكسة العابرة .

فكم نحن في حاجة إلى دراسة هذه الغزوة وأمثالها بعمق والبحث في أبعادها ونتائجها للاستفادة منها في حاضرنا الذي تعدّدت فيه عثراتنا .

لقد وقع تناول هذه الغزوة جزئيا في المؤلفات التي اهتمّت بالسيرة النبويّة بصفة عامّة ، أو وقع تناولها في كتاب مستقلّ وخاصّة بمناسبة الانتكاسات التي حدثت للمسلمين وآخرها ما عرف بنكسة ١٩٦٧ م (وهي هزيمة الدّول العربيّة ، أو دول المواجهة خاصّة ، أمام إسرائيل) .

وقد ركّز أصحاب هذه الدّراسات الأخيرة إمّا على الناحية العسكريّة ، أو على الناحية الدعويّة ، أو الناحية التشريعيّة ، أو الناحية التربويّة ، وكان هدفها في الغالب ترميم النفوس التي هدّمتها النكسة . وما تشترك فيه هذه الدراسات هو أنّها لم تعالج كلّ هذه النواحي معا وبما فيه الكفاية . وتَبْرُزُ فيها الناحية الدعوية أكثر من غيرها ، وتظهر فيها بشكل محتشم الطريقة الأكاديميّة بصفة عامّة .

لكلّ هذا اخترتُ هذا الموضوع لمعالجته بطريقة عصريّة تتمثل في توزيعه إلى عناصر مختلفة ، وتناوله بأسلوب أكاديمي إلى جانب القيام بالاستنتاجات المتنوّعة التي يفرزها لنا الحدث بدون تَعَسُّفٍ وعدم الاقتصار على ناحية وإقصاء الأخرى . وهذا إلى جانب استعمال خريطتين أو رسمين في البحث من أجل توضيح ظروف الغزوة .

وللإلمام بالموضوع اعتمدتُّ على مصادر منها القرآن الكريم ، وكتب الصحاح والسنن في الحديث النبوي ، ثُمَّ كتب السيرة النبويّة والتاريخ التي يُطمأنّ إلى المعلومات التي تقدّمها .

رجائي أن يكون التوفيق حليفي في هذه الدراسة ، والله ولي التوفيق .

تمهيد

إن فقه السيرة النبويّة يعني محاولة فهم مسار السيرة النبويّة ، وما تفرزه من دروس وعبر وعظات وأحكام ، بناء على أن مصدرها هو نبيّ يوحى إليه إلى جانب أنّه عظيم من عظماء التاريخ، وبالتالي فإنّ ما يصدر عنه يتضمّن التدبير والحكمة والعبقرية والنظر البعيد . وهي بالتالي صالحة لأن يستفاد منها بصفة عامّة كمنهج حياتي للفرد وللمجتمع وهي تكون ثانيا مكملة للمسلم في فهم دينه .

من أجل ذلك لا بدّ من تتبّع أخبار السيرة النبويّة في مصادرها الصحيحة كخطوة أولى . وعندما تُقطع هذه المرحلة ، وتتجمّع عندنا الأخبار التي نطمئنّ لصحتها ، نقف أمامها بعد ذلك متأمّلين مستفسرين متسائلين لنرى الفوائد التي تُستنتج دون تعسّفٍ، أي من غير تقويل الحدث ما لم يقل أو دون تحميله ما لا يحتمل . بحيث لا نضغط على الأحداث لإلزامها بقول ما يدور بخاطرنا من أفكار مسبقة .

إننا عندما نتتبّع أخبار السيرة النبوية نجدها كلّها صالحة للاستفادة منها في نواح مختلفة . وما لا نجده في هذا الخبر نجده في آخر . المهمّ هو ضرورة الدراسة الموضوعيّة لهذه الأحداث ، وعندما نقدّم استنتاجاتنا حولها لا بدّ من تقديم البرهان والدليل المقنعين عليها من داخل الأحداث ، وليس من خارجها . بحيث لا تكون استنتاجات نظريّة أو مطلقة.

الأحداث السابقة على غزوة أحد

كثيرا ما لا يفهم جوهر الموضوع الذي ندرسه وأبعاده إلاّ بعد دراسة الأحداث التي سبقته ومهّدَت له . وهذا ما يدفعنا إلى إلقاء نظرة على الأحداث السابقة على غزوة أحد:

لقد وقعت غزوة أحد بعد سنة تقريبا من قيام غزوة بدر وهو موعد متعارف عليه في البيئة العربية فيما يسمّى "بأيام العرب" قبل الإسلام . فهذه الأيام لم يكن يوجد فيها منهزم أو منتصر بشكل نهائي . فالمنتصر كان يُتيحُ الفرصة للمنهزم ليأخذ بثأره في السنة الموالية . وهذا ما جعل حياة العرب قبل الإسلام سلسلة من المعارك لا تنتهي حتى تبدأ ، ولا تتوقف إلا لفترة قصيرة دعيت بالأشهر الحرم ، وذلك لأن هذه الأيام لا تقع من أجل مبادئ وأهداف سامية .

بل كانت تحركها أسباب تافهة وحالات عاطفيّة ورَدّات فعل . وقد قدّم الإسلام بديلا صحيحا لهذه المعارك بإعطائها عندما تفرض على الإنسان بعدا جديدا فيه مصلحة الدعوة والمسلمين والإنسان بصفة عامّة .

من هذا المنظور الجديد لفكرة الحرب والمعركة لم يكتف المسلمون بما حقّقوه في بدر ولم يبقوا على هذا الانتصار يتغنّون به بل واصلوا حركتهم من أجل التغلّب على الصعوبات وتنظيم أنفسهم والاستعداد لمواجهة الطوارئ وإثبات الوجود في المنطقة، وكل هذا من أجل الدعوة إلى الإسلام والتي وهبوا أنفسهم لها .

إذن تواصلت الدعوة إلى الإسلام موازية لنزول الوحي على الرسول ﷺ ومعه تنظيم الجماعة الإسلامية وشلّ حركة القوى التي تعكر صفو التعايش داخل المدينة ، ومواصلة استكشاف المناطق المحيطة بالمدينة لمعرفة القوى المختلفة الموجودة. وكذلك لتعريف المسلمين بأنفسهم كقوّة فتية صاعدة تحمل عقيدة وشريعة، وجاءت لتنظم المجتمع في ضوء ذلك . وبالتالي فهي مطالبة بالقضاء على عبث القبائل والأعراب وهجوماتهم على مناطق العمران وقطعهم الطريق على العابرين . وهذا إلى جانب مواصلة المسلمين للحصار الاقتصادي الموجّه ضد مشركي قريش الذين حرموهم حرّيّة الدعوة وأرغموهم على الهجرة تاركين الأملاك والأهل والمرابع . ولتنفيذ ما ذكر وقع ما يلي :

١- التخلّص من قبيلة بني قينقاع اليهوديّة بعد محاصرة أفرادها في حيّهم بالمدينة على إثر الخلاف الذي جدّ بينهم وبين المسلمين بعد كشفهم عن عورة امرأة مسلمة كانت توجد في منطقتهم . ان تصرّف اليهود هذا فيه خرق لصحيفة المدينة التي نصّت على وثيقة التعايش بين الجماعات والأديان داخل المدينة .

لذلك وقع تضييق الحصار على هذه القبيلة . ووقع إرغامها على الجلاء عن المدينة وتوجهت إلى أذرعات بالشام [١،جـ٣، ص٥٠ ؛ ٢،جـ٥، ص٣٩١] . وقد ألزم فرادها بترك أسلحتهم وأدوات الذهب الذي كانوا يشتغلون بصياغته .

٢- بعد هزيمة بدر لم يهنأ بال أبي سفيان قائد قريش وحتى ينفّس عما أصابه من همّ في انتظار موعد مع المسلمين قاد غزوة انتقام عرفت

"بالسّويق"،(١) وكانت هذه المجموعة التي قادها لتحقيق هذا الغرض تتألف من مائتي راكب . وقد استطاعوا قتل مسلِمَيْن وأحرقوا بيتَيْن ونخيلا ، ثُمّ ولّوا هاربين لما اكتشف أمرهم [١،جـ٣، ص ص٤٧-٤٨ ؛ ٣،جـ٢، ص٣٠] .

٣ - تجمعت فروع من قبيلة غطفان تحت قيادة دعثور بنيّة قطع الطريق ، فلّما سمعوا بمسير أفراد من المسلمين بقيادة الرسول باتجاههم ، تفرّقوا بدون أن تحدث مواجهة [١، جـ٣ص٤٩] . وفي هذه الغزوة حاول دعثور الغدر بالرسول عندما نزع ﷺ ثوبَيْه ونشرهما ليجفّا واضطجع ، لكن السيف وقع من يدي دعثور ولم يصب الرسول بأذى [٣،جـ٢، ص ص٣٤-٣٥] .

٤- توجّه المسلمون إلى بني سليم بالكُدَر ، وقد كان هؤلاء ينوون مهاجمة المدينة إلاّ أنّهم تفرّقوا ولم تقع معركة [١،جـ٣، ص٤٦] .

إن هذا التصدي للأعراب والقبائل من جانب المسلمين الذي ذكرنا عَينات منه دخل في استراتيجيّة الرسول في عدم تمكين هؤلاء من التحالف والنهب وترويع سكان مناطق الاستقرار ، كما يهدف إلى إشعارهم بوجود قوّة إسلاميّة قامت على أساس العقيدة والنظام .

٥ - حاولت قريش المتعوّدة على رحلة الشام التجاريّة (رحلة الصيف) تغيير الطريق الذي تسلكه قافلتها عادة بسلوك آخر يمرّ من جنوب المدينة يصعد بعدها باتجاه العراق ثُمّ ينعطف إلى بلاد الشام في مرحلة أخيرة . تفطّن المسلمون لهذه المحاولة فأرسل الرسول ﷺ مائة راكب بقيادة زيد بن حارثة(٢) لاعتراض سبيل هذه القافلة . ففرّ عندها الرجال ، وأصاب المسلمون العير وأسر دليل القافلة فرات بن حيان [٣،جـ٢ص٣٦ ؛ ١، جـ٣، ص٥٣ ؛ ٢جـ٥، ص٣٩٥] . وبهذه العمليّة واصل المسلمون حصارهم الاقتصادي ضدّ قريش من أجل إضعافها .

٦- وفي مضمار التخلّص ممّن يهدّدون الوحدة داخل المدينة وقعت التصفية الجسديّة للشاعر اليهودي كعب بن الأشرف الذي لم ينظر بعين

---

(١) السّوق: حنطة وشعير محمّص مطحون وممزوج بعسل وسمن وقد تخلص المكيون من أزوادها عندما هوجموا من المسلمين.

(٢) زيد بن حارثة: من أقدم الصحابة إسلاماً قتل في موقعة مؤتة ٨هـ/ ٦٢٩م.

الرضا إلى انتصار المسلمين في بدر وسبّ الرسول وهجاه ، وتَشَبَّبَ (تَغَزَّل) في قصائده ببعض نساء المسلمين والمسلمون يوجدون في بيئة فيها للكلمة وقع خاصّ على نفوس الناس [١،جـ٣، ص٥٥ ؛ ٤، باب قتل كعب بن الأشرف ؛ ٥،جـ٧، ص ص٣٩٠-
٣٩١ ؛ ٦، باب قتل بن الأشرف ، كتاب الجهاد والسير ؛ ٣،جـ٢ ، ص ص٣٥-
٣٦ ؛٢جـ٥ ، ص٤١٣] .

أسباب غزوة أُحُد

أبرز سبب يمكن اعتباره سببا رئيسًا هو رغبة المكيين في الثأر لِهزيمتهم ببدر ، ومحاولة القضاء النهائي على المسلمين الذين أصبحوا عائقا وتهديدا لتجارتهم المتوجهة إلى بلاد الشام . إلى جانب إمكانيّة تنامي قوّة المسلمين بحيث قد يصبحون قوّة تنافسهم الزّعامة في شبه الجزيرة العربيّة .

لكن يبقى عنصر الأخذ بالثأر الذي فيه إخلاص وامتداد لروح أيّام العرب من أهمّ عوامل هذه الغزوة .

يعبّر الطبري [٧،جـ٢، ص٤٩٩] عن ذلك بقوله : "وكان الذي هاج غزوة أُحُد بين رسول الله ﷺ ومشركي قريش وقعة بدر وقتل من قتل ببدر من أشراف قريش ورؤسائهم."

الاستعداد للمعركة

من جانب المكّيين :

وقع تمويل الحملة العسكريّة ضدّ المسلمين من أرباح القافلة التجاريّة التي نَجت من المسلمين قبل بدر ، والتي مبلغها خمسون ألف دينار .

يقول الطبري [٧،جـ٢، ص٤٩٩] حول الموضوع: "فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فأعينونا بهذا المال على

حربه ..." وتحالف المكّيون مع عدّة قبائل لمساعدتهم ، مثل الأحابيش،[(٣)] كنانه ، أهل تهامة،[(٤)] ثقيف. وقد انضمّ إلى هؤلاء خمسون غلاما من الأوس كانوا برئاسة أبي عامر الراهب (أو الفاسق كما كان يلقب) الذي قاد هجرة معاكسة بعد حضور المسلمين إلى المدينة ، وقد يكون لِهذا الراهب دور لا يُستهان به في تحريض قريش على القيام بهذه الحملة [٣،جـ٢، ص٣٧ ؛ ١،جـ٣، ص٧١ ؛ ٨،جـ١، ص ص٢٠٥-٢٠٦]. كما اصطحب قادة من قريش نساءهم (الظعن) لأنّ هذا في رأيهم يدفع إلى مزيد البذل والحماس في المعركة [٤، باب غزوة أحد ؛ ٥،جـ٧ ، ص٤٠٦ ؛ ١،جـ٣، ص٦٦ ؛ ٩،جـ٢، ص١٠٣]. كما جنَّد قائد قرشي يدعى جبير بن مطعم[(٥)] غلاما له اسمه وحشي بن حرب[(٦)] وكُلّف بمهمّة دقيقة تتمثّل في قتل حمزة عمّ الرسول ﷺ مقابل عتقه ، وذلك للثأر من قتل حمزة ؓ لقريبه طعيمة بن عدي في بدر كماحرّضته هند بنت عتبة[(٧)] على ذلك من أجل أبيها الذي قتل أيضا من طرف حمزة في نفس الموقعة.

ويذكر بعضهم أنّها وعدته إن نفّذ ذلك أن تسلمه حليها . ويذكر الطبري أنّها سلّمته بالفعل في آخر المعركة "قلائدها وقِرَطيها" [٧،جـ٢، ص ص٥٠٢-٥٢٤ ؛ ٥،جـ٧، ص٤٢٤ ؛ ١،جـ٣، ص ص٦٥-٦٦-٧٥ ؛ ٩،ج،٢، ص١٠٣] .

وقد تمكّن المكّيّون في النهاية من تجنيد ثلاثة آلاف مقاتل [١،جـ٣، ص٧٠ ؛ ٨،جـ١، ص٢٠٣] كان بينهم سبعمائة دارع ، ومائتا فارس ، إلى جانب ثلاثة آلاف بعير للركوب والنحر ، كل هذا إلى جانب خمس عشرة امرأة للغرض الذي ذكرناه أعلاه [٧،جـ٢، ص ص٥٠١-٥٠٢ ؛ ٨،جـ١ص٢٠٣] .

ويعتبر هذا العدد من المجنّدين كبيرا وقويّا مقارنة بظروف عرب هذه البيئة. وعندما وصل هذا الجيش المكّي قرب المدينة عسكر في سهل

---

(٣) ليسوا من الحبشة وإنما هم فرع عربي والتحابش هو التجمّع.
(٤) ثقيف: قبيلة منازلها في جبل الحجاز بين مكة والمدينة [١٢، جـ٣، ص١٩٣].
(٥) من نسابي قريش / صحابي، ت ٥٩هـ/ ٦٧٩م.
(٦) توفي بحمص في خلافة عثمان بن عفان سنة ٢٥هـ/ ٦٤٥م.
(٧) هي أم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ت ١٤هـ/ ٦٣٥٦م.

بشمالها لوجود العشُب اللازم للدّوابّ . يقول ابن هشام [١،جـ٣، ص ص٦٩-٧٠ ؛ ٣جـ٢، ص٣٧ ؛ ٨، جـ١، ص٢٠٧ ؛ ٧،جـ٢، ص١٩٢]: "وقد سرّحت قريش الظهر والكُراع (الإبل والخيل) في زروع كانت بالصَّمْغَة . ولعلّ حطّ قريش لرحالها في هذا المكان كان إلى جانب توفير العلف لحيواناتها وعدم استفادة سكان المدينة من ذلك هو عمليّة استفزازية للمسلمين لدفعهم إلى الخروج من ديارهم للدّفاع عن ممتلكاتهم وبالتالي مقابلتهم في ساحة مكشوفة!

على كلٍّ ومهما يكن من أمرٍ ، فقد مكث المكّيون في هذا المكان وعلى هذه الوضْعيّة أيّام الأربعاء والخميس والجمعة الرابع والخامس والسادس من شوّال السنة الثالثة للهجرة الموافق للتاسع عشر والعشرين والحادي والعشرين من مارس سنة خمس وعشرين وستمائة من التاريخ الميلادي [٩،جـ٢، ص١٠٤ ؛ ١٠ص٣٣ ؛ ١٣،جدول].

من جانب المسلمين

عقد الرسول ﷺ مجلسا أعلم فيه الحاضرين بأمر الحملة القرشيّة ، وذلك بعد أن وصلته أخبارها يبدو أن مصدرها كان عمّه العبّاس الموجود بمكّة ، وكذلك بعض القبائل التي تعيش في الطريق الرابط بين مكّة والمدينة [٣،جـ٢، ص٢٧ ؛ ٨،جـ١، ص ص ٢٠٣-٢٠٤ ؛ ١١،جـ٣، ص٥٤٧] .

وإلى جانب العنصر الإعلامي الذي من أجله دعا الرسول ﷺ المسلمين كان يريد استشارتهم في كيفيّة مواجهة المكّيين . وقد أرسل في نفس الوقت من يجمع له أخبارا تتعلّق بالمكّيين وهم في طريقهم إلى المدينة وكذلك بعد وصولهم[٨،جـ١، ص ص٢٠٦-٢٠٧] .

وعند التداول في الموضوع ظهر رأيان عند الحاضرين : رأيٌ يرى المواجهة مع المكّيين في ساحة مكشوفة ، وأغلب أصحاب هذا الاتجاه من الشباب ومن الذين لَمْ يحضروا بدرا ، ويعلّل هؤلاء رأيهم بأن المسلمين إذا لم يخرجوا لملاقاة العدوّ فكأنّهم جبنوا أو ضعفوا .

أما الرأي الثاني الذي أفرزته هذه الجلسة الاستشارية فهو : ضرورة الانتظار والتحصن بالمدينة لأن موقعها ومبانيها المتشابكة تساعد على ذلك . وفي المرابطة بالمدينة يقع استغلال كلّ الإمكانيّات المتوفّرة المادّية منها

والبشريّة من أجل الدّفاع . وأصحابُ هذا الرأي الأخير هم من أشراف المهاجرين والأنصار ، إلى جانب الرسول ﷺ وذلك بسبب رؤيا رآها .

يوردها ابن هشام [١،جـ٣، ص ص٦٦-٦٧ ؛ ٤، كتاب المغازي ٣؛، جـ٢، ص٣٨؛ ٧،جـ٢، ص٥٠٢] بالصيغة التالية : "إنّي قد رأيت والله خيرا رأيتُ بقَرا ورأيت في ذُباب سيفي ثلْما ، ورأيتُ أنّي أدخلتُ يدي في درع حصينة فأولتها المدينة .

ورؤيا الرسول تَقَعُ في دائرةِ الوحي كما هو معلوم . ونجد أن رأى التحصن بالمدينة قد عبّر عنه رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، وهذا اعتمادا على تجاربه [٣،جـ٢ص٣٨] .

إلا أنّ حماس الشباب وأغلبية الحاضرين كانت إلى جانب الرأي الثاني ، وقد أدّى ذلك إلى الأخذ به ، أي ملاقاة العدوّ في ساحة مكشوفة وعدم التحصن بالمدينة [٨،جـ٢، ص١٨٩ ؛ ١،جـ٣، ص٦٧ ؛ ٨،جـ١، ص ص٢٠١-٢١٠] .

عندها خضع الرسول لأمر الأغلبيّة وارتدى لأمته أو لِباس الحرب ، وبدأ في توفير الأسباب وأسرع في ذلك حتى لا يدبّ الخلاف وتتوتّر العلاقات بين أصحاب الرأيَيْن .

عيّن الرسولُ ابن أم مكتوم(٨) على الصلاة بمن سيتخلّف في المدينة . حضر لدى الرسول من أجل المشاركة في المعركة ألف مقاتل ، وبعد استعراضهم أرجع منهم من يشكّ في إخلاصه وهم خاصّة حلفاء عبدالله بن أبي بن سلول من اليهود[٣،جـ٢ص٣٩].

وأثناء ذلك تردّدت مجموعتان في مصاحبة الرسول وهم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس ثُمّ وافقوا في النهاية على الخروج [٥،ج،٧، ص٤١٤] . كما أمر الرسول من هو غير قادر على الحرب بالعودة وذلك رحمة بهم وشفقة عليهم لضعف إمكانيّاتهم البدنيّة مثل أسامة بن زيد (ت ٥٤هـ/٦٧٤م) وعبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ/٦٩٢م) [١،جـ٣، ص٧٠ ؛ ٧،جـ٢، ص١٩١ ؛ ١٢،جـ٣، ص١٩٥] . وأجاز من وصل سنّ الخامسة

---

(٨) هو عمرو بن قيس بن زائدة الصحابي الضرير البصر (ت ٢٣هـ/ ٦٤٣م [١٢، جـ٣، ص ١٩٣].

عشرة مثل سمرة بن جندب الفزاري.[٩] كما أن ابن سلول عاد صحبة أنصاره بدعوى أنّ الرسول ﷺ قد تجاهل رأيه واستمع إلى من هم دونه سنّا وتجربة.

وبعد كل الذي حصل فإنّه لم يبقَ مع الرسول ﷺ غير سبعمائة محارب ، كان بينهم مائة دارع [٨،جـ١، ص٢١٥] ولم يكن في حوزة المسلمين غير فرَسَيْن ، إحداهما للرسول والأخرى لأبي برده بن نيار الحارثي [٣،جـ٢، ص٣٩ ؛ ٩،جـ٢، ص١٠٥] .

ويذكر وجود أربع عشرة امرأة بين المحاربين المسلمين [٣٨،جـ١ص٢٤٩] إلاّ أنّه لا يعرف إن كنّ بصحبتهم منذ البداية أم التحقن بهم بعد بدء القتال.

تنظيم الجيوش المتقابلة

عسكر المسلمون عند الشّعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ، جاعلين المدينة مقابلة لهم ، والجبل من ورائهم [١،جـ٣، ص٧٠]. ونظمهم الرسول ﷺ على طريقة الصفوف المتراصّة المستوحاة من طريقة الوقوف في الصلاة . وجعل لهم مَيمَنَة تتألف من الأوس ، وميسرة من الخزرج ، وقلبا من المهاجرين . وقد جعل الرسول "عينين" وهو جبل قريب من أحد عن يساره ، وأقام عليه خمسين راميا بقيادة عبد الله بن جبير [٣،جـ٢، ص ص٣٩-٤٠] ؛ لحماية المسلمين من إمكانية الالتفاف عليهم من الخلف بواسطة فرسان قريش خاصّة . وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبال حتى لا يأتوا المسلمين من ورائهم . وأكد عليهم أن لا يغادروا المكان مهما كانت نتيجة المعركة ، وقد وردت هذه التوصية بصيغ مختلفة ولكنّها تحمل نفس المعنى المذكور أعلاه تقريبا [٣،جـ٢، ص ص٣٩-٤٠ ؛ ١،ج٣ص٧٠ ؛ ٨،ج١ص ص٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ؛ ٧، جـ٢، ص١٩٢ ؛ ١٢،جـ٣ص١٩٤] .

(٩) صحابي هاجر إلى الحبشة ثم كان داعية نشيطاً في المدينة بعد بيعة العقبة.

ووقفت أربع عشرة امرأة وراء المسلمين بغرض تقديم الماء للعطشى وحمل الجرحى خارج ميدان المعركة ، وتضميد جراحهم ، ويُذكَر أنه كانت بينهنّ فاطمة بنت الرسول ﷺ [١٠،ص٣٤].

وقد جعل المسلمون كعادتهم في الغزوات شعارا لعلّه من أجل أن يتعارفوا به وترديده ليبثّ فيهم الحماس وهو : "أمِتْ ، أمِتْ" [١،جـ٣، ص٧٢] .

أمّا المكّيّون فقد نظموا أنفسهم مقابل المسلمين وظهورهم تقريبا إلى المدينة على شكل قوّة رئيسة من المشاة في الوسط يبلغ عدد أفرادها حوالي ألفين وثمانمائة رجل تقريبا ومن جناحَين متحرّكين من الفرسان (الخيّالة) : مائة فارس في كل جناح : خالد ابن الوليد في الميمنة وعكرمة بن أبي جهل في الميسرة [١،جـ٣؛ ص٧٠ ؛ ٧،جـ٢، ص١٩٢؛ ١٢،جـ٣، ص١٩٥] . كما جعل القرشيون النساء (الظعن) في الخلف لتشجيع المحاربين بالغناء خاصّة [١،جـ٣، ص٧٢ ؛ ٨،جـ١، ص٢٢٣] . وكانت كلمات هذا الغناء الذي تردّده نساء قريش وتقوده هند بنت عتبة مع الضرب على الدّفّ على النحو التالي [١،جـ٣، ص٧٢ ؛ ٣،جـ٢، ص٤٠] :

وَيْها بني عبد الدّار ويْها حماة الأدبار

ضربا بكل بتّار

وتقول أيضا :

إن تُقْبلوا نعانق ونفرش النمارق [وسادة صغيرة]

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق [أي غير محب]

ويضيف الواقدي [٨،جـ١، ص٢٧٢] وكانت مع نساء قريش الدّفاف يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر ، ومعهنّ مكاحل ومراود ، فكلّما ولّى رجل أو تأخّر ناولته إحداهنّ مرودا أو مكحلة ويقلن إنما أنت امرأة . وتروي أمّ عمارة أنّها رأت فيما بعد هؤلاء منهزمات مشمرات .

اَلْمَعرَكَةُ ومَراحِلُها

بدأت المعركة عند مطلع نهار يوم السبت السابع من شوّال السنة الثالثة للهجرة الموافق للثاني والعشرين من شهر مارس سنة ٦٢٥م [٣،جـ٢، ص٣٦ ؛ ١٢، جـ٣، ص١٩٤ ؛ ١٣، جدول] وإن شذّ الطبري بقوله : إنّها تَمّت في النصف من شوّال [٧،جـ٢، ص١٨٩] .

ولعلّ لسكّان منطقة شبه الجزيرة العربيّة مَيْل نحو بداية المعركة في أوّل النهار لعلّه حتّى تنتهي قبل أن يشتدّ الحرّ على المحاربين !. حيث جاء في *سنن الترمذي* [١٤، با ب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال] :"الحرب عند الصباح بعد الفجر مستحبّة."

وقد مرّت المعركة بالتقلّبات أو المراحل التالية :

١ بدأت بالتراشق بالنّبال ، وقد تكون بالمبارزة على عادة أيّام العرب [٨، جـ١، ص ص٢٢٥ ٢٢٦] وهي مقدّمات المعركة عندهم ، والتي تبعث الحماس في النفوس ، وتهيّئ لمرحلة الالتحام . في هذه البداية صُدّت محاولات من فرسان المكّيّين من أجل الهجوم على أجنحة المسلمين بهدف تطويقهم [١٠،ص٣٧] . بدأت بالتراشق بالنّبال ، وقد تكون بالمبارزة على عادة أيّام العرب [٨،جـ١، ص ص٢٢٥ ٢٢٦] وهي مقدّمات المعركة عندهم ، والتي تبعث الحماس في النفوس ، وتهيّئ لمرحلة الالتحام . في هذه البداية صُدّت محاولات من فرسان المكّيّين من أجل الهجوم على أجنحة المسلمين بهدف تطويقهم .

شكل رقم . المعسكرات في غزوة أحد.[من كتاب "خالد بن الوليد" للواء أغا إبراهيم أكرم:ص].

شكل رقم . المراحل التي مرت بها غزوة أحد.[من كتاب "خالد بن الوليد" للواء أغا إبراهيم أكرم ص].

٢ - انتقلت المعركة إلى المبارزة التي أخذت تنتشر شيئا فشيئا ، وتتحوّل إلى مواجهة والتحام بين المحاربين . وبادر المسلمون أثناءها بمهاجمة قلب الجيش المكّي ، وصرعوا حامل اللواء طلحة بن أبي طلحة [٨،جـ١، ص٢٢٦] . وتداول على حمله بعده أفراد من عائلة طلحة هذا وقد قتلوا كلّهم [٣،جـ٢، ص٤١] . وسقوط اللواء وقتل حامله في المعركة يتشاءم به محاربو البيئة العربيّة ، لذلك كان لما وقع تأثير على المعنويات مِمّا ادخل الاضطراب في صفوف الجيش المكّي . واستغلّ المسلمون هذه الفوضى من أجل مزيد الضغط على قوّة المشاة المتقهقرة والمختلّة الصفوف مِمّا جعل أفرادها يفرّون من ميدان المعركة [٣،جـ٢، ص٤١ ؛ ١٢،جـ٣، ص١٩٦] .

٣ - عندما وصلت المعركة إلى هذه المرحلة ، أوقف المسلمون القتال ، وهرولوا باتجاه الغنائم التي أغرّت الرّماة أيضا فتركوا مواقعهم من أجل المشاركة في جمعها ، ماعدا قلة منهم بقيت مرابطة في أماكنها بقيادة ابن جبير الذي ذكّر المتخلّين بأوامر الرسول ﷺ لكن بدون جدوى [٨،جـ١، ص

ص٢٢٩-٢٣٠ ؛ ١،جـ٣، ص٨٢ ؛ ١٢، جـ٣، ص١٩٦ ؛ ٣،جـ٢، ص٤١]
.

في هذه الظروف استغلّ خيّالة المكّيين الفرصة - وهم الذين كانوا يتصيّدونها منذ البداية - فسارعت مجموعة خالد إلى احتلال موضع الرماة بعد قتل من بقي منهم وعلى رأسهم ابن جبير ، وصاروا بهذه العمليّة وراء جيش المسلمين . كما توجّه فرسان الميسرة الذين يقودهم عكرمة إلى حيث يوجد الرسول ﷺ [٨،جـ١، ص٢٣٢ ؛ ١٠،ص ص٤٢-٤٤] . عند ذلك تشجّع مشاة المكيين بما حدث وعادوا إلى ميدان القتال الذي لم يبتعدوا عنه كثيرا . وتطوّعت امرأة من بين المكيين تدعى عمره فحملت لواء الجيش .

وبهذه العودة طُوِّق المسلمون ووقعوا بين نارين حيث تعرّضت مؤخِّرتهم إلى هجوم من فرسان قريش في حين تعرّضت مقدّمتهم لمعظم مشاتهم ، فَتَداخَلَت صفوف المسلمين حتى وصلوا إلى محاربة بعضهم [٥، جـ٧، ص٤٠٢ ؛ ٣،جـ٢، ص٤٢] ولعل كثرة الغبار المتطاير من حركة المحاربين شارك إلى حَدٍّ مَّا في هذه الفوضى التي سادت صفوف المسلمين[١٠،ص٤٢] .

وبسبب ما حصل تشتّت المسلمون في اتجاهات مختلفة ولم يبق غير عدد بسيط منهم أبلوا البلاء الحسن في الدفاع عن الرسول ﷺ . ولا تتّفق المصادر حول هذا العدد الذي يتراوح بين اثني عشر رجلا وثلاثين رجلا ، ولعلّ هذا الرقم الأخير هو الأقرب إلى الصواب بناء على أنّ الرقم الأوّل تصعب معه المقاومة[٥،جـ٧، ص ص٤٠٦-٤٠٧ ؛ ٧،جـ٢، ص٥٢٠ ؛ ٨،جـ ٢٤٠ ؛٣،جـ٢، ص٢٤٢ ؛ ١٠، ص٤٢] .

وبالرغم من البطولات والتضحيّات ، التي أظهرها المدافعون عن الرسول ﷺ فإنّ حَيَاتَهُ ﷺ تعرّضت إلى الخطر مِمّا أرغمه على القتال بنفسه [٨،جـ١ص٢٤٢] . وقد أشاع مكّيٌّ يدعى عمرو بن قمئة الليثي خبر قتله وهو الذي قتل مصعب بن عمير(١٠) ظانّا إيّاه بأنّه الرسول. وقد نادى بأعلى صوته معلنا الخبر فرَدّت صداه الجبال وسمعه المشركون والمسلمون معا [٥،جـ٧، ص ص٤٠٩-٤١٠ ؛ ١،جـ٣، ص٤٢ ؛ ٨،جـ ١ص ص ٢٣٣ -

(١٠) صحابي هاجر إلى الحبشة ثم كان داعية نشيطاً في المدينة بعد بيعة العقبة.

٢٣٤] . وقد كان لهذه الإشاعة تأثير على معنويّات المسلمين ففَرّ أكثرهم [١٢،جـ٣، ص١٩٨ ؛ ١،جـ٣، ص٩٢] ولعلّ بعضهم ـ من ضعاف الإيمان ـ راودتهم فكرة الاتصال بابن سلول للتوسّط لهم لدى أبي سفيان [٧،جـ٢، ص٥٢٠ ؛ ١٥،جـ، ٤ص ٢٠ تفسير الآية ٤٣ من آل عمران ١٤٣] .

وقد أصيب الرسول بجراح مختلفة حيث شجّ وجهه ، وكسرت رباعيّته (اليمنى من الأسفل ـ التي بين الثنيّة والناب) ، وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها ، ووهى منكبه من ضربة عمرو بن قمئة ، ويُتَّهَمُ جدّ محمد بن شهاب الزهري أيضا بالمشاركة في ذلك [١،جـ٣، ص٨٥] وجحشت ركبته [٥،جـ٧، ص٢٠] وهشمت البيضة (الخُوذه) على رأسه [١٢،جـ٣، ص١٩٧] ، كما وقع الرسول أثناء ذلك في حفرة موجودة على الميدان يقال أن أبا عامر الأوسي حفرها من قبل مكيدة للمسلمين [١،جـ٣، ص ص٨٤-٨٥ ؛١٦،ص١٦١] .

إنّه بالرغم من هذه الظروف الصعبة فقد استطاع الرسول ﷺ أن ينسحب باتجاه قمّة الجبل صحبة من بقي إلى جانبه [٨،جـ١، ص٢٧٨] وضبطوا القمّة وحافظ الرسول بذلك على ما تبقى من المحاربين . ثُمّ بدأ عدد آخر من المسلمين يلتحق بموقع الرسول بعد أن اكتشف هؤلاء عدم صحّة إشاعة قتله .

ثُمّ توقفت المعركة على هذا الوضع خاصّة وأن الفرسان الذين يلاحقون الرسول ومن معه رأوا أن المكان الذي تمركز فيه غير صالح للحركة والمناورة بالنسبة للخيول ، كما أنّ المسلمين في قمّتهم قد عَلَوا الجميع تقريبا . إلى جانب هذا فإنّ المكّيّين أسرعوا في إنهاء المعركة لأنّهم لا يصبرون على البقاء وقتا طويلا بعيدين عن مرابعهم، شأنهم في ذلك شأن عرب هذه البيئة . ولعلّ المكيين رأوا بأنّهم قد حققوا ما جاؤوا من أجله وهو الثأر لقتلى بدر وتحقيق نصر ميداني .

ولم يهدّد المكيون المدينة الخالية تقريبا من المدافعين ، كما أنّهم لم يحقّقوا الهدف المتمثّل في قتل الرسول وبعض المقرّبين إليه ، ووضع حدّ للدعوة الإسلاميّة.

والواقع أن ما حدث للرسول ﷺ في نهاية المعركة قد أتعبه حيث نرى أنّه وجد صعوبة في الوصول إلى قمّة الجبل بسبب الجراح التي يشكو منها

حتى أنّه لمّا حانت الصلاة أمَّ المسلمين جالسا [١،جـ٣، ص٩٢ ؛ ١٢،جـ٣، ص١٩٩؛ ١٦،ص١٦٣] .

نتيجة المعركة

يصوّر الطبري [٧،ج٢ص٥١٤] ما أصاب المسلمين في هذه الموقعة بقوله : "أصابَهُم (أي المسلمين) من البلاء أثلاثا : ثلث قتيل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم "

الواقع أنّ المسلمين انهزموا ميدانيّا أو خسروا معركة أحد حيث قتل منهم حوالي سبعين محاربا [١،جـ٣، ص٩٦ ؛ ٨،جـ١، ص ص٢٧٤-٢٧٥ ؛ ٣،جـ٢، ص ص٤٢-٤٣ ؛ ١٧،جـ١، ص١٦٠ ؛ ١٦،ص١٦٦] وقع التمثيل ببعضهم ، وكان بينهم حمزة عمّ الرسول ﷺ وأخوه من الرّضاعة الذي جُنِّدَ وحشي لقتله [١،جـ٣، ص٧٤] . وقد تَمّ هذا التمثيل من طرف نسوة المكيين حيث كنّ يجدعن آذان وأنوف القتلى وخاصّة من طرف من فقدن أقرباءهنّ في غزوة بدر [١، جـ٣، ص ص٩٦-٩٧] . وإلى جانب من قتل من المسلمين فقد جرح عدد هامّ منهم . كما ترك قتلى المسلمين بدون مواراة التراب.

أمّا قتلى المكيين فكانوا حوالي عشرين محاربا [٣،جـ٢، ص٤٣ ؛ ١٧،جـ١، ص١٦٠] كان من بينهم حامل اللواء طلحة بن أبي طلحة وبعض أفراد عائلته .

والغريب أن المكيين لم يستغلّوا هزيمة المسلمين وتداخل صفوفهم وتشتتهم ليهاجموا المدينة الخالية من الحراسة أو ليقوموا بعمليّات تخريب أو حرق . كما لم يعملوا على مطاردة المسلمين لمزيد تشتيتهم وإمكانية القضاء عليهم . شيء من كل ما ذكر لم يقع ماعدا محاولة محدودة قام بها خالد بفرسانه بغرض تعقب الرسول لكنّه عدل عن المواصلة لطبيعة الأرض التي اعتصم بها المسلمون . وفي الواقع أنّه في ما وقع يوجد إخلاص وامتداد لأيّام العرب ومعه عدم الصبر على البعد عن الديار كما ذكرنا آنفا .

على كل لقد أنهكت المعركة جلّ المسلمين بما فيهم الرسول ﷺ الذي أصابته جراح متنوّعة وظهر عليه التعب حتى أنّه صلى بالناس جالسا كما

ذكرنا . ومِمّا زاد في ألمِه وحُزنه هو قتل عمّه حمزة والتمثيل به ، وهو الذي يعتبر سندا كبيرا للرسول في الدعوة للإسلام [١،جـ٣، ص١٠١ ؛ ١٧،جـ١، ص ص١٥٣-١٥٤] .

وبالرغم مِمّا وقع فقد تحامل المسلمون على أنفسهم بأمر من الرسول ﷺ للقيام بعمليّة تقرّرها استراتيجيّة المعارك وهي المناورة ، التي طاردوا فيها المكيين ليثبتوا لهم ولمن يستهين بهم و لمن يشمت فيهم [٨،جـ١، ص٣١٧] بأنّهم مازالوا على درجة من القوّة ، وبإمكانهم مواصلة القتال إذا لزم الأمر [١٧،جـ١، ص ص١٦٦-١٦٧ ؛ ٣،جـ٢، ص٤٩ ؛ ١٠، ص ص ٥١-٥٢] .

ولتنفيذ ذلك عسكروا في مكان يسمّى "حمراء الأسد" الذي يبعد عن المدينة حوالي عشرة أميال . واستمرّوا يوقدون النار كعلامة إشهار وتحدّ ، وذلك مدّة ثلاثة أيّام [١٧،جـ١، ص ص ١٦٦-١٦٧ ؛ ٣،جـ٢، ص٤٩ ؛ ١٠،ص ص٥١-٥٢] .

ولعلّ عدم عودة المكيين العائدين إلى ديارهم للاشتباك بالمسلمين من جديد يعود لعلمهم بأنّ الرسول عاد إلى المدينة للحصول على تعزيزات من المحاربين، كما أن المكيين كانوا مخلصين "لأيّام العرب" كما قلنا والتي لا يستمرّ فيها القتال أكثر من يوم أو بعض اليوم .

ولم تؤثر هذه الهزيمة في مركز الرسول، بل زادت من إكبار المسلمين له والتفافهم به، وإن أظهر اليهود والمنافقون لبعض الوقت شماته وغبطة لما وقع [٧٩،جـ١، ص١٦٥].

ويعود عدم التأثير على مركز الرسول إلى أنّه كان مصيبا في رأيه حين طلب من المسلمين التحصّن بالمدينة وعدم ملاقاة العدوّ في ساحة مكشوفة . ويرجع هذا الرأي إلى استنتاجات توصل إليها بما ينزل عليه من وحي وخاصّة من الرؤيا التي رآها ، ولبعد نظره للأمور ولحسن تدبيره . ومع علم الرسول بما سيحصل من فشل، فإنّه رضخ لرأي الأغلبيّة ولم يتردّد ولم يتراجع في ذلك . ثُمّ وضع خطّة ناجحة لمواجهة عدوّ يفوق المسلمين عددا وعدّة باستعمال الإمكانيّات المتواقرة من طبيعيّة وبشريّة مثلما فعل من قبل في غزوة بدر ، أي أنّه وفّر أسباب النصر . لكنّ

المسلمين لم ينضبطوا ولم يطبّقوا تعليماته إلى آخر مدى ففشلت الخطّة بسبب الرغبة في الحصول على الغنائم فكان الانكسار .

ومع الخطر الذي كان محدقا بالرسول ﷺ ، فإنه لم يفقد توازنه في هذا الوقت الحرج ، فنظم المقاومة وقاوم بنفسه ، واستطاع سحب ما تبقى من المحاربين إلى المكان الآمن مِمّا جعل المسلمين الذين تشتّتوا يعودون للالتفاف به . كما أبدى الرسول رباطة جأش على إثر المعركة بالرغم من الجراح المختلفة التي أصيب بها . وبالرغم من فقده لعمّه حمزة العزيز عليه إلى جانب التمثيل به . بالرغم من كلّ ما حدث له فإن الرسول ﷺ لم يفقد توازنه ولم تختلط عليه السبل أو يضعف كما هو شأن الناس العاديين حتى ولو كانوا من طينة القادة .

بل نجده صلى بالجماعة ودفن القتلى وقاد المسلمين من جديد وقام بما يخيف العدو ويسكت الشامتين ويرجع الثقة إلى النفوس . وهذه خاصّية من خاصّيات القائد الملهم الكفء . وتبقى خاصّية رباطة الجأش وعدم الاستسلام من شيم الرُّسُل الموحى إليهم لأنّ الله الذي أرسلهم يعطيهم من القوّة ويحميهم من كلّ مكروه .

وما حدث للرسول ﷺ ليس غريبا عنه فقد مرّ بما يشبهه من قبل ولم يزحزحه ذلك عن طريقه وعن الهدف الذي رسمه وهو تبليغ رسالة الإسلام .

أسباب هزيمة المسلمين في أحد

يبدو لنا من خلال أحداث معركة أحد ، أن قريشا استعدّت استعدادا خاصّا لهذه المواجهة بتوفير العدد والعدّة اللاّزمين ، وصحبت قادة أثبتوا كفاءة عالية في القتال والقيادة بعد اعتناقهم للإسلام ومشاركتهم في الفتوحات الإسلامية، مثل خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما . ولم يستهن المكيون في هذه المرّة بالمسلمين مثلما فعلوا ذلك في بدر .

ويعود النجاح الذي حالف قريشا إلى الخطة العسكرية التي وُضِعت ، وخاصّة ما يتعلق منها بوجود جناحين من الخيالة أُعطِيا استقلالية عن جيش

المشاة إلى جانب أن أفرادها فرسان على درجة من الحنكة ويعرفون كيف يواجهون الظروف الصعبة .

وما ذكر من قبل ليس له أهميّة كبيرة أمام الخطة السليمة والناجحة التي صمّمها الرسول ﷺ لمواجهة قريش . كما أنّ الإيمان والعزيمة التي تحرك المسلمين برئاسة النبي الموحى إليه والقائد الكفء كان لهما دور في دفع المسلمين إلى مزيد التضحية والبذل بحماس . كلّ هذا الذي عليه المعسكر الإسلامي يوحي بإمكانية التغلب على العدد والعدّة المتفوّقين عند قريش مثلما هو الأمر في غزوة بدر . وبالفعل كان النصر حليف المسلمين في الجزء الأوّل من المعركة ، لكنّهم لم يستغلّوا تفوّقهم كما يقتضيه سير المعارك، وذلك بمواصلة تشتيت العدوّ والقيام بالمطاردة وما يتبعها من أسر لأفراد العدو ؛ لأن هذه العمليّة تحول دون عودة العدوّ إلى التجمّع والقيام بهجوم مضادّ عندما تتاح له الفرصة . لكنّ المسلمين فضلوا على هذه الخطة الهامّة التي تصحب نهاية المعركة جمع الغنائم والتي جعلوها همّهم فاهتمّوا بها قبل أن يحين وقتها .

وكامتداد لهذا الإقبال على الدنيا ممثّلة في الاهتمام بالغنائم ومعها التسيّب وقلة الانضباط من جانب المسلمين عامّة - في هذه المعركة - هو ترك الرماة لمواقعهم . والمعلوم أنّه أسندت إليهم مهمّة دقيقة تتمثّل في مراقبة خيّالة المكيين ، لأنّ الرسول ﷺ كان على دراية بمقدرة هؤلاء الرجال الذين يقابلونه . وعندما استَهْوَتْ المسلمين الغنائم وجدها فرسان قريش فرصة انقضّوا عليها ليطوّقوا المسلمين وبذلك تشجّع مشاة قريش المتقهقرون فعادوا إلى الميدان وتغلبوا على المسلمين كما وضحنا ذلك من قبل .

وبذلك نرى أن من أسباب الانكسار هو تهاون المسلمين بتعليمات القيادة، وقلّة الانضباط، وإعطاء الأولوية للغنائم ، وتجاهل المبادئ ، والهدف السامي المتمثّل في الدعوة إلى الإسلام ، والتي تسبق التفكير في الغنيمة .

إنّ النواحي المادّيّة والاقتصادية تكون نتيجة وليست هي الهدف الذي يلهث وراءه المحارب . إنّ العنصر الاقتصادي والمكافأة المادّيّة يتحقّقان بشكل طبيعي عندما يقع الوصول إلى الهدف المنشود .

وهكذا كان بالإمكان أن يعيد التاريخ نفسه ويتكرّر انتصار بدر لو طبق المسلمون أوامر القيادة ولم يضعفوا أمام الغنائم !

ويلاحظ بعد هذا أن المسلمين كانوا يفتقرون إلى فرسان يمكنهم مواجهة فرسان قريش كما أنه قد يمكنهم من قلب كفة المعركة بسرعة عند وقوع خطإ في سيرها .

فالمعروف أنه في هذا العهد كانت الخيالة تمثل قوّة تدخل رادعة وحاسمة في المعركة تستطيع أن تقلب الموازين وخاصة عندما يكون أصحابها يحملون عقيدة ولهم خطة واضحة وبينهم قيادة كفأة مثل المسلمين .

وإذا تجاوزنا الوجه المادّي لأسباب الهزيمة يمكننا القول بأن في هذه الخيبة حكمة أُريد بها تربية المسلمين [١٢،جـ٣، ص٢١٨] من أجل ضرورة طاعة القائد ومزيد الانضباط وتوفير أسباب النصر.

وقد يكون ما وقع امتحانا من الله ليعرف الصادقين من غيرهم . كما أنّ حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم أن يُدَالُوا مرَّة ويدال عليهم أخرى ثُمّ تكون لهم العاقبة . كما أن النفوس كما يقول ابن قيم الجوزية [١٢،جـ٣، ص٢٢١] تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانا وركونا لذلك إذا أراد الله بها خيرا ابتلاها .

استنتاجات من غزوة أحد

إنّ كلّ عمل وكلّ حدث مهما كان نوعه ومهما كانت نتائجه قابل لأن نعتبر به وأن نستنتج منه الدروس التي تفيدنا . فننسج على منوالها أو نحذرها حتى لا ننزلق . وهذه الأحداث الماضية نستفيد منها في حاضرنا ونخطّط في ضوئها لمستقبلنا .

وتكون الاستفادة من أحداث الماضي أكثر إذا كان مصدرها الوحي والتدبّر والحكمة والعبقرية . وموضوعنا هذا يختلط فيه وحي حُجِبَت أبعاده عن عموم الناس كما يحمل في طياته تنظيما وتشريعا وسلوكا تُطبّق وتتمّم وتوضّح ما جاء به القرآن الكريم. كما نجد في هذه الغزوة تفكير وسلوك الناس العاديين الذين يحيطون بالرسول ﷺ وكل ما يصدر عن هؤلاء

الأخيرين فيه ما يشبه حدود تفكيرنا البشري واهتماماتنا وحياتنا بصفة عامّة .

فما الذي يمكن أن نستنتجه من كلّ هؤلاء ومِمّا وقع في هذه الغزوة ؟

إنّنا عندما نتأمّل أحداث أُحد كما استعرضناها من البداية وحتى نهايتها تتجلّى لنا بشكل مواز لها العظات والعبر التالية :

● عندما يكون لنا أعداء يتربصون بنا فإنه علينا باليقظة المستمرّة ، وإعداد العدّة والاستعداد الدائم لكل ما يطرأ . من ذلك التعرف على تحرّكات العدوّ ونواياه بجمع المعلومات الممكنة عنه لنعرف ماذا يعدّ لنا وكيف نواجهه على ضوء ذلك .

وعندما نعلم بجدّية نواياه في الهجوم لا بدّ من الإسراع في استنفار الجيش . كان الرسول ﷺ يتابع أخبار قريش بعد بدر وعند انطلاقها من مكّة قبيل غزوة أحد ، وعند اقترابها من المدينة وعند حطها الرّحال بالقرب من أحد . وقد تَمّ كلّ هذا عن طريق عمّه العبّاس وبعض المتعاطفين من القبائل ، وعن طريق من أرسلهم الرسول للتجسّس على قريش عند حضورها إلى المنطقة.

● عند وضع خطّة المواجهة يجب استشارة أهل الذكر سواء كانوا عموم الناس أو الاقتصار على أهل الحلّ والعقد ، وهذا حسب عدد أفراد الرعية وطريقة التنظيم والظروف والعصر . المهمّ هو التعمّق في دراسة الموضوع وقبول ما تقرّر .

● إلا أنّ السؤال الذي يطرح بالنسبة لمسألة الاستشارة وما يتعلّق بهذه الغزوة بالذات هو: هل للقائد أو الرئيس أن يستشير وينفّذ ما تراه الأغلبيّة ؟ حتى وإن كان بثاقب نظره وبالاعتماد على معطيات متواقرة لديه دون غيره يرى خطأ ما ذهبت إليه هذه الأغلبيّة؟ أم يمكن أن يستشير فقط من أجل معرفة مختلف الآراء ليستأنس بها ثُمّ ينفّذ بعد ذلك ما يراه صالحا دون الرضوخ لرأي الأغلبيّة ؟ نجد أن الرسول ﷺ قبل هذه الغزوة قد استشار مَنْ حوله وكان له رأي غير رأي الأغلبيّة وهذا بناء على أنّه يوحى إليه إلى جانب أنّه رأى رؤيا تُفسّر بعدم الخروج من المدينة . والرؤيا بالنسبة للأنبياء تدور في حمى الوحي. إذن إن الرسول كانت له معطيات واستنتاجات لا تتواقّر لعموم الناس، ومع ذلك فقد نفّذ ما رأته الأغلبية . فهل

أن سَبْرَ الآراء في الاستشارة تطبق نتيجته بشكل مطلق أم تختلف حسب الظروف ؟ .

● وهل كان الرسول يريد من خلال ما وقع أن يعلم الأمّة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها ضرورة تطبيق مبدأ الشورى في كلّ الأحوال على أساس أنّه المنهج الذي تظهر من خلاله الحقيقة والطريق الذي يتبع ؟

● على كلّ مهما يكن من أمر علاقة مسألة الاستشارة بغزوة أحد ، فإن الرسول ﷺ كان مطبقا لهذا المبدأ على نطاق واسع وفي أغلب الأحيان ، جاء في *سنن الترمذي* [١٤، باب ما جاء في المشورة] : "ما رأيت أحدا أكثر مَشُورة لأصحابه من رسول الله ﷺ ."

● ومبدأ الشورى مبدأ إسلامي في الحكم وفي التسيير ، وقد نصّ عليه القرآن الكريم الذي هو أخلاق وسلوك الرسول : ⓵

➔⌖✹⌖⑥➔✡⊙♊⬋♦➢⇨ ⓵ ⑤⋟⇳②✞☹☹♈♊❍✠✍

⇨⑤❍💣✠⑥⌖❄⬂ ⇨❶♊♈✞◎⌖⌖⇗ ♊⌧⚐✞❀⌖⬆⌖❷⌖❄⬂

⬂✞⌫⌖⇗ ☺⇨✡✉⋟⑤ 🕮☺⇨✡ ✈⌖☽💣✠⑤ ☺⇨⌖✉⋟⑤

☺⇧⑧✡♌♦❄▦ ⌖☽✆✡⌫⚐✡❀⌖⬆⌖❷♦⏏🖫⌧⋟⑤ ☎🗁🖁♑☽

⓵ ⬆⓵☯ ♈⬉⌦⌦⬈🖳⌛🖁🗁🖅🗀⌛🗁☸ ⓵

➔⌖⑤☹⌖♈♊❄❍♦⬋♦➢⇨ ✹♦⬆⊙⌖✓♦ ⑩❄⌖❄”♊⏻❄⌖⬈♦➢⇨ ☎🖹🖰☽ ⓵

(الشورى: ٣٨) .

● من خلال ما دار في المجلس الذي عقده الرسول ﷺ يمكن القول أنه يمكن التحصن بالمكان الذي نوجد فيه ، والقيام بحرب دفاعيّة تستغل فيها الإمكانيات المتواقرة وهذا إذا كانت طبيعة المكان تسمح بذلك . كما يمكن ملاقاة العدوّ في ساحة مكشوفة ويعود ذلك إلى الظروف والملابسات التي يعرفها القائد أكثر من غيره . فالحل ليس جاهزا وواحدا بل يختلف من معركة إلى أخرى .

● لكن إذا اتخذ القرار بالنسبة لطريقة مواجهة العدوّ وجب السرعة في التنفيذ وعدم التراجع فيه لأن الوقت قبيل المعركة ليس وقت تردّد لأنه يُخشى في حالة وجود آراء مختلفة أن يحدث انشقاق في الصفوف بين المؤيدين والمعارضين ، وهذا فيه إضعاف للمحاربين. إن الرسول ﷺ بعد لبس لامته (لباس الحرب) ندم البعض وحاول إثناءه عن ذلك لكنه صمّم ولم

يتراجع قائلا : "ما ينبغي لنبيّ إذا أخذ لامة الحرب أن يرجع حتى يقاتل" [٥، كتاب المغازي باب غزوة أحد] .

● إنّه في حالة الحرب وفي الكوارث وفي الظروف الصعبة التي تمرّ بها جماعة يمكن للقائد أو وليّ الأمر إذا لزم الأمر ، فرض أداءات إضافية على ما يدفع عادة كما يمكنه أن يتصرّف فيما هو ممتلكات خاصة لصالح المجموع ؛ لأن هذه الظروف الطارئة تستدعي التكافل وتقديم التضحيات من أفراد الجماعة .

● [المثال على هذا من غزوة أحد : أن المسلمين في طريقهم إلى موقع أحد اضطروا إلى المرور من مال المربع بن قيظي ، وكان رجلا منافقا كفيف البصر فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثي في وجوههم التراب . [١،جـ٣ص٦٩] ومع ذلك واصل المسلمون سيرهم ولم يعيروه اهتماما .

● لا يعتمد في المعركة إلاّ على المخلصين والمنضبطين والقادرين. لقد أرجع الرسول صبيحة المعركة عددا مِمّن يشك في إخلاصه قائلا : "لن أستعين بمشرك" أو "لا نستعين بالمشركين على المشركين،" أو "لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك" [٦،باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر ؛ ٣، جـ٢، ص٤٨ ؛ ٨،جـ١، ص ص٢١٥-٢١٦]. وهذا الموقف من هؤلاء هو خشية التعاطف مع العدوّ أو الخيانة كما أن المنافقين لا يطمأنّ إلى مشاركتهم الجيش الإسلامي ، وقد انخذل هؤلاء بالفِعل عن رسول الله ﷺ بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة من أتباعه بدعوى أن الرسول لم يأخذ برأيه . والواقع أنّ المنافقين لا يريدون قتالا حتى لا يعرّضوا أنفسهم إلى الخطر . من سمات المنافقين أنهم يريدون أن يأخذوا ما في الإسلام من مغانم ويبتعدوا عمّا فيه من مغارم وأتعاب [١٨،ص ص١٧٧-١٧٨] . وحتى لو لم يعد هؤلاء المنافقون أدراجهم فإنه لا يمكن التعويل عليهم أثناء المعركة .

● ويستغنى في المعارك الإسلامية عن خدمة أبناء المسلمين غير القادرين وذلك رحمة بهم وشفقة عليهم. ونشير هنا إلى الشباب الذين لم يصلوا سنّا محدّدة تسمح لهم بالالتحاق بالخدمة العسكرية . وهذه السنّ تختلف حسب النضج والبيئات

والعصور ، وهي خمس عشرة سنة بالنسبة للمسلمين في صدر الإسلام [١٤، كتاب الجهاد، باب ما جاء في حدّ بلوغ الرّجل] .

• ضرورة اختيار الموقع المناسب في المعركة وتنظيم الجيش على قواعد صحيحة . وهذا إلى جانب حماية القوات أثناء انهماكها في القتال . لقد تمركز المسلمون أمام أحد جاعلين الجبل وراءهم والمدينة مقابلة لهم . فبهذا التنظيم نرى أن الجبل يحميهم من الخلف وتكون المدينة تحت مراقبتهم . كما نظم الجيش على طريقة الصفوف المتراصّة ، وجُعلت له أجنحة . وكُلّف عدد من الرماة بأخذ مواقعهم على تل عينين الواقع على يسار المسلمين لحمايتهم من تطويق محتمل .

• كما يلاحظ أن تنظيم المكيين لجيشهم وخاصة بجعل جناحين متحركين من الفرسان مستقلين عن جيش المشاة ولكل جناح قيادته الخاصة ، هذا التنظيم أظهر جدواه في الوقت المناسب لوجود قائدين محنكين لهذين الجناحين مثل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما .

• إنّ القيادة الكفأة عندما تضع خطّة ويصدر عنها أمر فإنّها تفعله في الغالب بعد دراسة وتدبير ولذلك يجب تنفيذ ما تخططه وما تطلب تطبيقه ، قال تعالى : ⓵

⌖❍▦✡○⚐✞⌧⍼⑤⑥⌖➚✈♦❄▦☹✞⑥✍▭❄❄⌖▦
☺⇨⌖✍⍼⑤ ☠⑤⬆♦⇱"✡⏲✞☹⑤ ☠❖⑤⬆♦❶⌖✌⑤③⇩
⇲✡⌧⚐➔☼☹⑤⌖➔ ⌖✐⬆♦✦✈⌖⭘⌧⍼⑤ ☠⑤⬆♦⇱"✡⏲✞☹⑤⌖➔
☠⭘♊✌☹☹✞②⇳⍼⑤ ✌✡❶⌕☼⌺♊✍ ☎▯♍◉☽ ⏲ (النساء ٥٩)، [لقد أمر الرسول مجموعة من الرماة بالمرابطة فوق تل خشية من التطويق ، وقد وقع تنفيذ الخطة في البداية ثم وقع التخلي عنها بسبب الغنائم مِمّا شارك في انكسار المسلمين .

• والقائد الكفء هو الذي يستطيع أن يقلب الفشل العارض إلى نصر بطريق أو بأخرى من أجل إرجاع الثقة إلى النفوس والإبقاء على الجبهة الداخلية متراصة، ومن أجل قطع الطريق على الشامتين من يهود ومنافقين ، وممن يتربّص بالمسلمين من أعراب وغيرهم، وممن يتصوّر بأن المسلمين قد انتهوا مع هذه المعركة. هذا ما ظهر من سلوك الرسول على إثر المعركة وخاصّة في مناورة حمراء الأسد وغيرها .

• إنّ المطاردة من أهمّ دعائم النصر تنهك العدوّ وتشتت أفراده وتأسر البعض منه. فلا يعود بذلك إلى التجمّع من جديد للقيام بهجوم مضادّ ، وتجعل المنتصر يطمئنّ بالفعل إلى ما حققه من انتصار [إنّ هذا العنصر الهامّ أهمله المسلمون عندما لاحت لهم بوادر النصر على المكيين ، كما أن هؤلاء الأخيرين وهم المخلصون لأيّام العرب لم يُوفّقوا فيه .

• إنّ المال والاقتصاد مسائل هامّة في حياتنا وهما قوام الأعمال لكن يجب أن لا نكون عبيدا لهما ونفضلهما على مبادئنا وأهدافنا. لقد انكسر المسلمون في أحد لمّا قدّموا جمع الغنائم على إتمام مهمّتهم .

• إن شجاعة المقاتلين وحسن تدبيرهم وإصرارهم على تحقيق الهدف قد تعوّض النقص في عدد المحاربين [يبدو لنا هذا في العدد المحدود من المسلمين الذين بقوا إلى جانب الرسول بعد انهزام بقية أفراد الجيش ، فقد استمات هؤلاء في الدفاع وانسحبوا بقيادة الرسول ﷺ إلى المكان الآمن .

• وتتجلّى لنا هذه الظاهرة في فرسان خالد بن الوليد وفرسان عكرمة بن أبي جهل، فإنّه بالرغم من تقهقر جيش المكيين ، فالقائدان المذكوران لم يأخذا ذلك في الاعتبار وانتظرا الفرصة حتى حانت وقلبا كفة المعركة لصالحهما .

• إن للإشاعات أثرها في الحياة العامّة ويكون أثرها أكبر في المعارك العسكريّة وهذا نظرا لصعوبة التثبت منها في البداية . لذلك تستعمل الإشاعات في الحروب ويعتمد عليها في تثبيط عزائم أفراد الجيش الذين تعلقوا بالقائد ويهمهم بقاؤه على قيد الحياة الإشاعة التي أطلقها البعض خطأ أثناء المواجهة حول قتل الرسول كان لها دور في تداخل صفوف المسلمين وانهزامهم .

والواقع أن الجيش الناضج الواعي والمؤمن قد يفقده غياب القائد الذي تعلق به توازنه ، إلا أن الفرد مادام يدافع عن رسالة ومبادئ فإنه لا يعطي أهمية كبيرة لموت القادة. فإن مات هؤلاء يجب أن يتواصل نشر الرسالة والدفاع عنها . فالقادة مكتوب عليهم الموت اليوم أو غدا ، لكن الرسالة والمبادئ التي جاءوا بها وعملوا على نشرها وترسيخها يجب أن تبقى بين أتباعهم ، قال تعالى : ⓵ ⑤☼☺➔⚐⌧✞❄❄⁋▭▫✠☼♦ℊ⇨ ൽ✦◎✦⑤▭⬇♦⊭♦➢
➢✦✈✦⬅❄❄☐☞✡⭘✦↑♌ ➢✈✡⓿ ⦿✦✈⑩❄✡✈↗✠➢⇔
➔✦൫✦⓫❄✞⚐❄⁋⓿♦ ❸❄✦⓾♊⭘✠⬃ ➢✡⓿

(آل عمران، آية١٤٤) [١٨،ص ص١٨١ - ١٨٢].

- أهمية المباغتة في الحروب وفي حياتنا حيث إنّها تفاجئ الطرف الثاني وتفقده توازنه فتكون سببا في انهزامه أو في ضعفه . والمباغتة - وهي شيء غير متوقع - تستدعي من صاحبها وقتا من أجل إيجاد حلّ لِما وقع. إن ما قام به خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل على رأس الفرسان من تطويق المسلمين بعد قتل من تبقى من النبالة كان في ذهن الرسول ﷺ منذ البداية وقد حذّر من ذلك - لكن ما وقع يعتبر مباغته فاجأت المسلمين المنهمكين بجمع الغنائم .

• ضـرورة عـدم الاستسـلام للنوائـب ولمـا يفـرض علينـا كرهـا أو يعترض سبيل مسيرتنا سواء كـان ذلك فـي حياتنـا اليوميـة أو فـي المعـارك التي نخوضها أو في ما نطمح إليه بصفة عامّة وخاصّـة إذا تعلّق ذلك بمبدإ سام . فلا بدّ من التعوّد على البحث عن الحلول للصعوبات أو حدوث ما هو غيـر متوقـع الرسـول ﷺ وخالـد بـن الوليـد لـم يرضـخا للصـعوبات التـي اعترضتهما وقام كل منهما بإيجاد الحلّ اللازم حسب الظرف الذي يمرّ به.

• إنّ حياة الإنسـان والجماعـات هـي مجموعـة محطـات ومراحـل كمـا أن الحـرب هـي مجموعـة معـارك . فـإذا ربـح أو فشـل جيش فـي إحداها فـلا يعنــي أنــه ربـح الحـرب كلّهـا أو فشـل فيهـا كلّهـا . المهـمّ هـو الاسـتمرار والمواصلة بثبـات وتـدبّر مـن أجـل الهـدف المحـدّد. لقـد انتصـرت قـريش فـي معركة واحدة هنا في أُحُد وخسر المسلمون هذه المعركـة، لكنّ هـل حققت قـريش مـا تنشـده مـن خلالهـا فـي القضـاء علـى المسـلمين وعلـى الـدعوة الإسـلامية ؟ العكس هو الـذي سـيحدث فـي المـدى البعيد ، لـذلك فـإن الفشـل والسقوط ليسا عيبا بل هما شـيء متوقـع فـي الحيـاة ، إنّمـا العيـب هـو وقـوف الفـرد أو الجماعـة حيـث سـقطوا . إنّ المسـلمين الـذين يقـودهم رسـول يـوحى إليه لم تؤثّر فيهم هذه الهزيمـة بل واصـلوا تحت قيادتـه مسيرتهم ونضـالهم بثبات وإصرار وكان النصر حليفهم في النهاية ـ لذلك فإن المسلمين خسـروا معركـة أحد لكنهم ربحوا الحـرب.

• إنّ مـا ذكرنــاه مـن اسـتنتاجات قبـل هـذا اختلطـت فيهـا النـواحي التربوية والعسكرية والسياسية.

ونصـل الآن إلـى بعض القضـايا التـي تظهـر فيهـا النـواحي التشـريعية والإنسانية.

١-لقد حرّمت المبادئ السامية والقوانين الدوليّـة التعـرّض إلـى الأسير العادي بـأذى وعدم الإجهـاز علـى الجـريح ، وأقَرَّتْ احتـرام القتيـل بدفنـه أو الاحتفـاظ بـه فـي مكـان لا يصـيبه فيـه التلـف . وهـذا إلـى جانـب عـدم انتهـاك حرمته كالتمثيل بـه إلاّ أن المكيين المنتصـرين فـي هـذه المعـارك فعلـوا ذلـك بقتلـى المسلمين وعلى رأسهم حمزة عمّ الرسول. حيث جدعت نسـاء قريش الآذان والأنـوف حتى اتخذت هند زوج أبي سفيان من آذان الرجـال وأنـوفهم خَدَما (خلاخل) وقلائد [٧،جـ٢، ص٥٢٤] وقد أثـار ذلك الرسـول ﷺ ومن

حولـه، فتوعّـدوا أنّهـم لـو يظفـرون بقـريش فـإنهم سـيمثّلون بثلاثـين منهـا [٧،جـ٢، ص٥٢٩]. فنزلـت الآيـة القرآنيـة معدّلـة لهـذا الوعيـد : 🕛
☠⑤⬆💧⑨✡⑥⌖⮪⌖❄⮯ ♊⌂💧❷❄♊⑨⌖❄⑥⌖⮫ ⬄➲💣✠⑤⌖➔
📭👓✡⬉✡⑩ ⌂💧❷❄♊⑨✡⬆💧⮫ ⑥⌖⮟ ✠💾❻✡⮝✡⑩
♌⊙♊&❄⌖· ⌖⬆💧⬈✞⌧ ⬄➤💧❄❸♊⊙⌖♓⇨❄✧ ⮉💣✠▫✞⌧⌖➔
☎📂📄⌛✆ ♐⮌❄▦✡⊙✡♓☝❄♐✞❄⌖❄⌫✡🏳⌧ 🕔 (النحل،آيـة ١٢٦). فعفـا رسـول الله وصـبر ونهـى عـن المثلـة [١،جـ٣ص١٠٢ ؛ ٧،جـ٢ص٥٢٩ ؛ ١٤، كتاب السير باب ما جاء في وصية الرسول ﷺ في القتال] .

٢- يدفن الشهداء في المكان الذي قتلوا فيه : جاء في *سنن الترمذي* [١٤، كتاب الجهاد باب ما جاء في دفن القتيل ؛ ١٢،جـ٣ ، ص ص٢١٤-٢١٥ ؛ ١٦،ص١٦٦ ؛ ٣،جـ٢، ص٢٤٤ ؛ ٣،جـ٢، ص٤٤ ؛ ١٩،٢ص٣٩٤] عن جابر: " لمّا كان يوم أحد جاءت عمتي بأبي لتدفنه في مقابرنا فنادى منادي رسول الله ﷺ رُدّوا القتلى إلى مضاجعهم."

وبالنسبة لطريقة دفن الشهداء فقد قال الرسول ﷺ يوم أحد: "احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد وقدّموا أكثرهم قرآنا "[١٤، كتاب الجهاد، باب ماجاء في دفن الشهدء] .

وقد صحّ بالفعل أن الرسول جمع بين الرجلين والثلاثة من الشهداء في ثوب واحد وفي قبر واحد ، وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسّلوا [٥،جـ٧ص٣٣ ؛ ١٢،جـ٣، ص ص ٢١٤ -٢١٥ ؛ ١٩،جـ٢ص ٣٩٣] . وعدم الغسل يكون حتى بالنسبة لمن فاجأته المعركة فجاء جُنُبا فإنّه يُدفن على ما هو عليه وأن الملائكة تغسله مثل حنظلة بن أبي عامر الذي عُرف بغسيل الملائكة [١٢،جـ٣، ص٢٠٠ ؛ ١٦،ص١٦١] . وهؤلاء الشهداء لا يُصَلَّى عليهم . ودفنهم يكون بثيابهم التي قتلوا فيها إلاّ من سلب ثوبه فإنه يكفن في غيره [٢٠، الفتح الرّباني باب في موقعة أحد ؛ ١٢،جـ٣، ص٢١٣] . ويورد ابن هشام [١، جـ٣، ص١٠٢ ؛ ١٧، جـ١، ص ص١٦٠-١٦١] رواية يقول فيها بالصلاة على الشهداء . ويقدّم ابن قيم الجوزية [١٢، جـ٣، ص٢١٧] روايات مختلفة حول الموضوع إلاّ أن الثابت هو عدم الصلاة [١، جـ٣، ص ص١٠٢-١٠٣، هامش] .

عدم النواح والصياح واللطم وتعداد مآثر القتيل : لقد برزت هذه الظاهرة في المدينة بعد هذه النكسة في بيوت من فقدوا أفرادا من عائلاتهم ، فأمر الرسول بالكف عنها [٨،جـ١ص٣١٧ ؛ ١،جـ٣ص١٠٥] . ولذلك لم يُؤذَن في النياحة على الميّت أمّا مجرّد دَمْع العَيْن فجائز (ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعوى الجاهلية) [١٤، باب الميت يعذب ببكاء أهله ، ٦، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب] .

٤ - عند الضرورة وبسبب المرض أو التعب يمكن للإمام أو المأموم القيام بالصلاة، جلوسا [١١٤، كتاب الصلاة، باب صلاة القاعد ؛ ١٢،جـ٣، ص١٩٩ ؛١،جـ٣، ص٩٢ ؛ ١٦،١٦٦]. وقع ذلك من الرسول بعد المعركة بسبب الجراح المختلفة التي أصيب بها وبسبب الإرهاق .

٥ - إنّ ما قام به المسلمون في نهاية المعركة من حماية الرسول بأجسادهم من نبال المشركين وضرباتهم يعود إلى محبتهم للرسول لأنه مُبَلّغ رسالة الإسلام إليهم وهو قدوتهم ومثلهم الأعلى ، وهذا ما جعلهم يعانقون الموت في سبيل حفظ حياته . وأهميّة الرسول ﷺ بالنسبة للمسلمين تظهر لنا من خلال ما جاء في المغازي [٨،جـ١،ص٣١٥] . خرج النساء بعد أحد ينظرون إلى سلامة رسول الله ﷺ ، قالت أمّ عامر الأشهلية: "قيل لنا قد أقبل النبي ونحن في النوح على قتلانا فَخَرجْنا فنظرت إليه فإذا عليه الدّرع كما هو فنظرت إليه فقلت كلّ مصيبة بعدك جلل."

وبذلك فإن محبّة الرسول فرض على المسلم ، قال ﷺ : "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[٤، كتاب الإيمان، باب حب الرّسول] .

٦ - إن للزوج أهميّته بالنسبة للمرأة ، يذكر ابن هشام على هامش معركة أحد حادثة تظهر ذلك [١،جـ٣، ص١٠٤] : " ثُمّ انصرف رسول الله ﷺ راجعا إلى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش، فلمّا لقيت الناس نُعِي إليها أخوها عبد الله بن جحش وخالها حمزة فاسترجعت واستغفرت لهما ثُمّ نُعِي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ : إنّ زوج المرأة منها لبمكان لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها . وعلاقة الزوج بزوجته تكون حميمة أو لا تكون فهي رفيقة دربه وأمّ أبنائه ، وعرفا مع بعضهما الحلو والمرّ . قال تعالى : ⓵ ➔⌖⌄✡⍝⇔

(الروم، الآية ٢١) .

٧ - إنّ المكافأة والثواب والجزاء هي مقابل على ما قدمه الشخص أو الجماعة من جدّ وعمل متقن وإنتاج . ويدخل في هذا المضمار من حارب بإيمان وإخلاص في سبيل الدعوة الإسلامية واستشهد من أجل ذلك ، يقول تعالى :

(آل عمران، الآية ١٦٩)، . وقد بشّر الرسول ﷺ المسلمين بما نال الشهداء من عظيم الأجر ، فقد قال ﷺ لابنة عبد الله بن عمر والد جابر : لِمَ تبكين ؟ فمازالت الملائكة تظلّه بأجنحتها حتى رُفع [١٢،جـ٣ص٢٢١ ؛ ١٩،جـ٢ص٩٦] . وقد جاء في *سنن الترمذي* [١٤، كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في ثواب الشهداء] أن رسول ﷺ قال : ثلاثة يدخلون الجنّة : شهيد وعفيف متعفّف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه .

إنّ جزاء الشهيد كما أثبته القرآن الكريم والرسول شارك بدور هامّ في الفتوحات الإسلامية إذ إنه إلى جانب توجّه المحارب المسلم بمحض إرادته إلى المعركة، فإنّه يحارب بدون خوف أو انكماش وبكل ما أوتي من قوّة لأنّه يعلم أنّ نهايته إن حصلت في المعركة فهي لا تتعدّى في أسلوب الحياة ويعوضه الله سبحانه وتعالى هذه الحياة الدنيا بما هو أحسن منها .

٨ ـ إن الله الذي وهب الحياة للإنسان هو وحده الذي يستطيع أن يضع لها حدّا في وقت محدّد . ولذلك لا وجود لشيء في عقيدة المسلمين يسمّى وضع الإنسان حدّا لحياته بما يسمّى بالانتحار . فعلى الإنسان أن يعيش متفائلا قانعا بما قدره له الله ، وإذا ابتلى فإنّ ذلك لحكمة يجازى عليها وعلى صبره .

فقد حدث في أحد أن شخصا يدعى قزمان من المنافقين التحق بالمسلمين وأبلى بلاء شديدا ، وقد صرّح بأن قتاله هذا هو عن أحساب قومه ولولا ذلك ما قاتل . فلمّا اشتدّ عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به

نفسـه [١،ج٣ص٩٤ ؛ ٨،جـ١ص ص٢٦٣-٢٦٤ ؛ ١٢،جـ٣ص٢١٢] ، وكان الرسول ﷺ يقول فيه من قبل : إنه من أهل النار . وقد ورد في مسلم عن رسول الله قوله [٦، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإنّ من قتل نفسه بشيء عذّب به في النار] : "من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه (أي يطعن بها) في نار جهنّم خالدا مخلّدا فيها أبدا ، ومن تردّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردّى في نار جهنّم خالدا مُخلّدا فيها أبدًا."

٩ - إنّ المرأة هي نصف المجتمع وبالتالي فإنّ لها دورها في الحياة اليومية ، والرجل والمرأة يتكاملان . ففي معركة أحد كانت المرأة المسلمة إلى جانب الرسول . وقد تمثّل دورها في التمريض وتقديم الماء للمحاربين . ووصل بها الأمر إلى المشاركة الفعليّة في المعركة : يذكر أنّ أمّ عمارة وهي نسيبة بنت كعب المازنية (١١) كانت من بين الذين التقّوا حول الرسول ﷺ للدفاع عنه في نهاية معركة أحد [١٢،جـ٣ص٢٠٠ ؛ ١٦،ص١٦٢] . كما شاركت أربع عشرة امرأة مسلمة في هذه الموقعة نجد من بينهنّ إلى جانب أمّ عمارة ، أمّ سليم بنت ملحان وعائشة أمّ المؤمنين ، وفاطمة بنت الرسول ، وحمنة بنت جحش ، وأمّ أيمن.(١٢) وكان دورهنّ يتراوح بين مداواة الجرحى وحمل قرب الماء لسقاية العطشى، والمشاركة في الحرب أحيانا. والمثال على ذلك أنّ فاطمة رضي الله عنها كانت تقوم بغسل ومداواة جرح أبيها ﷺ بسكب الماء وإلصاق قطعة من حصير ليستمسك الدم [٦، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد ؛ ٥،جـ٧ص ص٤٣٠-٤٣١ ؛ ٣،جـ٢ص٤٨ ؛ ٨،جـ١ص ص٢٤٩-٢٦٨-٢٦٩]. وعن الدور الذي تقوم به المرأة في المعركة جاء في *صحيح مسلم* [٦، كتاب الجهاد باب غزوة النساء مع الرجال ؛ ١٤، كتاب السير باب ما جاء في خروج النساء في الحرب] . كان رسول الله ﷺ يغزو بأمّ سُليم ونسوة من

(١١) صحابية ومجاهدة ذات دين واجتهاد واعتماد على النفس شهدت يوم أحد وشهدت بيعة الرضوان ثم شهدت قتل مسيلمة أثناء حروب الردة حيث قطعت يدها وقتل ولدها. توفيت حوالي سنة ١٣هـ.

(١٢) أم سليم بنت ملحان: شهدت يوم أحد ويوم حنين – وحمنة بنت جحش: صحابية روت أحاديث – والبقية معروفات.

الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى" . ويقول أيضا في حديث آخر في نفس الكتاب ونفس الباب : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأمّ سُليم وإنهما لمشمّرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على مُتُونهما ثُمّ تفرغانه في أفواههم ثُمّ ترجعان فتملآنها ثُمّ تجيئان تفرغانه في أفواه القوم .

وإذا ذكرنا دور المرأة المسلمة في هذه المعركة فلا يمكن أن نغفل عما قامت به المرأة المكية نذكر منهن هند زوج أبي سفيان التي كانت تقود فرقة تردد الأهازيج من أجل دفع المحاربين المكيين إلى مزيد البذل في المعركة وإن مثلت بعد المعركة بقتلى المسلمين بطريقة خسيسة ترفضها الشرائع والقوانين. ولا تفوتنا الإشارة إلى دور المرأة المكية عمرة بنت علقمة الحارثيّة التي تجرّأت وحملت اللواء عندما كان المكيون منهزمين مِمّا شجّع عودة مشاة المكيين إلى الميدان [٣،جـ٢، ص ص٤٠-٤٢؛٨،جـ١ص٢٧٢] . إنّ هذه العينات من دور المرأة في معركة أحد تبيّن لنا بعض المجالات التي تساعد فيها المرأة الرجل . ونرى من خلال ذلك أنّ للمرأة الكفاءة والجرأة والصبر وإنجاز المهمات المسندة إليها بإتقان .

عندما تذكر لنا كتب الأحاديث والسيرة والمغازي أنّ أبا سفيان في نهاية المعركة وجّه نداءه حيث يوجد المسلمون سائلا إذا كان الرسول ﷺ وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما مازالوا على قيد الحياة، وقد تظاهر المسلمون بعدم الجواب على هذا السؤال . إلاّ أنّ هذه الأسئلة الصادرة عن أبي سفيان زعيم قريش تدلّ على معرفته بأهميّة الرجلين إلى جانب الرسول وعلى أساس أن كلّ نهاية لهؤلاء الثلاثة هي بمثابة نهاية للإسلام حسب رأيه . وهذا لعلاقتهم القويّة بالدعوة الإسلامية وعلاقتهم الحميمة ببعضهم. لذلك ليس غريبا أن يكون أبو بكر وعمر من أفضل الصحابة وأقرب الناس إلى الرسول وأعرف بجوهر الإسلام إلى جانب حكمة وتجربة الرجلين الحياتية . وعلى هذا فإن توليهما للخلافة على التوالي بعد وفاة الرسول لم يكن ذلك من باب المصادفة [٥،جـ٧، ص٤٠٥ ؛ ٢٠ ، باب في موقعة أحد] .

مدى تأثير أحد على المسلمين

إنّ ما وقع في أحد يجعل المسلمين يشعرون بمرارة الهزيمة وبالندم على قلة انضباطهم وطاعتهم لتعاليم الرسول وسيطرة المادّة عليهم، وفرارهم ، وترك الرسول يحارب وحده صحبة عدد قليل من المحاربين .

هذه هي الحالة النفسية التي كان عليها المسلمون بعد غزوة أحد .

لذلك نزل الوحي في جزء من سورة آل عمران يمتد من الآية إحدى وعشرين ومائة : ⓵ ➔⌖⑤⌖☼●◯🖫 ⇗⇐⌖•⌖➔♊⓿⇨ ♈✡⓿⇦
⓹☺✞⇙♊⌧✡⌀⇨ ❸✽♦⑨⌖⬆✠✈⇗☹♦
⑤⌮⌧🖫⅄♦⬉♊♈✡⓿✡☙☽⌖ ♈⌖⌀⌖✽⌖⇱✡•⌖
⌧✡⌧🖫⌀✡❷⌖⑥⌀✠🔔 ➔⌖⑤⌮⇐♦⇨☺⇨☺♦ ✦⌖⅄✡"⇘♏
⇗⌖⌧✡"➢♏ ☽🗀🗎🗀☎ ⓵ ويصل إلى الآية تسع وسبعين ومائة تقريبا [١،جـ٣ص١١٢ ؛ ٨،جـ١ص٣١٩ ؛ ١٥ تفسير هذه الآيات].

وقد جاء الوحي من خلال بعض الآيات في هذا الجزء واصفا ملابسات وظروف هذه الموقعة ، كما قدّم الدروس المستنتجة من ذلك .

ونحاول فيما يلي استعراض خلاصة الآيات المتعلقة بأحد كما جاءت في *التفسير الواضح* لحجازي ـ وقد اخترته على سبيل المثال وليس على سبيل الأفضلية .

● اذكر يا محمد (ﷺ) وقت أن خرجْتَ تُنَزّل الناس أماكن خاصّة للقتال ، واذكر إذْ هَمَّتْ طائفتان الفرار لكن الله عصمهم .

● ولقد كان النصر حليف المسلمين في بدر لأنهم انضبطوا ولم تغرهم الغنائم ، وكان بالإمكان أن ينصرهم الله كذلك في أحد لو كان سلوكهم شبيها بسلوكهم في بدر . فالنصر من عند الله لا محالة لكن هذا لا يعني عدم الأخذ بالأسباب . وفي أحد خالفتم الرسول فهزمتم . إنّ ما وقع ليس نصرا للمشركين ولكنه درس هامّ للمسلمين .

● ثم أعلن الله العفو عن المسلمين ونهاهم عن الاستسلام وطالبهم بالتأهب مع التوكّل على الله والوثوق بالنصر .

● وأنتم أيّها المسلمون إنْ أصابكم ألم في أحد فقد أصاب الكفّار ألم أكثر في بدر والأيّام دول والحرب سجال والعاقبة والنصر في النهاية للمتقين الصابرين .

● وإن هـذه الحـوادث العنيفـة التـي تـرجّ المجتمـع تمحـص الإيمـان الخالص من الإيمان المشوب بالاستكانة .

● إنّ كثيرا من الناس مصابون بالغرور حتى إذا ما محصوا بالابتلاء قلّ منهم ذلك.

● إنّ دخول الجنّة لا يكون إلا بالجهاد الكامل لإعلاء كلمة الله ومعها جهاد العدو وجهاد النفس وجهاد الإغراءات.... إلخ .

● ولقد تمنّـى كثيـر منكم الاستشـهاد حتّـى إذا جدّ الجدّ تـوانى هؤلاء وانحازوا إلى الجبل والرسول يدعوهم وهم لا يجيبون . وهذا عتاب موجَّه للذين فرّوا وليس للذين بقوا حول الرسول ﷺ .

● كمـا عـاتبهم لتـأثير إشـاعة قتـل الرسـول فـي نفوسـهم فـذكّرهم بـأنّ الرسول لم يدّع الخلود والألوهية وهو ميّت مثل الآخرين والموت بإذن الله . إلاّ أنّه إذا مات الرسول فيجب أن يواصل المسلمون حمل راية الإسلام بعده .

● وعلى المسلمين أن لا يطيعوا ما يشيعه أمثال ابن أبـي سلول وأبـي سفيان فهم إن أطاعوهما خسروا الدنيا والآخرة .

● ووقع تعليل سبب الهزيمة بأنّه امتحان للمسلمين ليعرف الصـادقون من غيرهم وليتمرّنوا على الشدائد فهذه هي التي تصنع الرجال والأمم .

● وقد أنزل الله النعاس علـى طائفـة المؤمنين وهـي نعمـة من نعم الله وهذا لا يقع مع من لم يملأ الإيمان قلوبهم .

● وعن الذين يتساءلون لمـاذا هُزِمَ المسلمون ، ولـو كـان محمد نبيّا حقّا ما وقع هذا؟ الجواب : أن النصر من عند الله والموت مـن عنده أيضـا ، ومن جاء أجله لا يمكن أن يتأخّر ذلك .

● ويشير تعالى إلى أن الذين تركوا أماكنهم على التّلّ أزلهم الشيطان .

● وبيّن تعالى أنّ الذين جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا وقُتِلوا هم أحيـاء بعد استشهادهم وهُم مكرّمون عند ربّهم .

● ونوّه تعالى بالذين أصابتهم الجراح والآلام في هذه الغزوة ومع ذلك لبّوا نداء الرسول حينما طلبهم للقاء أبي سفيان في غزوة أو مناورة حمراء الأسد .

إنّ هذا الوحي الذي نزل على إثر أحد من شأنه رفع معنويات المسلمين بعد الهزيمة ودفعهم إلى مزيد الطاعة . والانضباط للرسول ﷺ من أجل الدعوة الإسلامية . وقد بدأت تظهر الطاعة مع مشاركتهم في غزوة حمراء الأسد بالرغم من الظروف الجسمية والمعنوية السيّئة التي كان عليها المسلمون، كما أنّه لم يظهر أي تململ أو انقسام في صفوف المسلمين وهو ما يقع عادة على إثر الانكسارات .

● إنّ الانكسارات التي تحدث كثيرا ما يكون لها تأثير سلبي على من كان في القيادة أثناء حصول الهزيمة ، إلاّ أن ما وقع في غزوة أحد لا يعود إلى سوء تدبير من الرسول ﷺ . فهو أولا لم يكن من البداية راضيا على مواجهة قريش في ساحة مكشوفة لأنه بالرؤيا التي رآها وهي جزء من الوحي، ولنظره البعيد، كان يحبّذ المرابطة بالمدينة والقيام بحرب دفاعية . ومع ذلك، فقد خضع لرأي الأغلبية واستعدّ للمعركة ونظم الصفوف بشكل يساعد على النصر . وقد كاد المسلمون بفضل هذه الخطة ينتصرون على العدوّ ، إلاّ أنّ الغنائم استهوتهم فهرولوا باتجاهها وانهمكوا في جمعها مِمّا سبب الهزيمة . ومع ذلك فقد صمد الرسول بالرغم من تعرّض حياته للخطر . ثم سحب ما تبقى من الجيش وضبط بمن تبقى معه ومن انضمّ إليه لاحقا القمّة ،وبذلك التحق به المسلمون الذين تفَرَّقوا أثناء المعركة . كما قام بعد ذلك بكل ما تستوجبه تبعات ما بعد المعركة بجد وبرباطة جأش ، ثم دعا المسلمين إلى مناورة حمراء الأسد .

ثم نزل الوحي مدعّما لرأي الرسول ﷺ وسلوكه وأعاد الثقة إلى نفوس المسلمين وعفا عنهم . كل هذا رسخ في الأذهان وفي النفوس نبوّة الرسول وكفاءته في التدبير وفي التسيير . لكل هذا لم يتأثر مركز الرسول بين المسلمين بل زاد تجدّرا وقوّة وإشعاعا .

• العنصر الثالث المتعلّق بما بعد معركة أحد هو تحرّك بعض الأطراف مستغلة ما يبدو لهم ضعفا ناتجا عن الهزيمة . لأنّه عند حدوث الهزيمة كثيرا ما يتحرّك ما يسمّى بالطابور الخامس ويتألف من ضعاف

الإيمان ومن المندسين والمعادين الذين يحاولون في هذه الظروف التشكيك في القيادة القائمة وإبداء الشماتة والسخرية . ويمثل هذا الطابور الخامس بالمدينة : المنافقون واليهود والأعراب حول المدينة .

فقد قال المنافقون واليهود لو استمع إلينا ما حدث له هذا ، وقال اليهود ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب هكذا نبيّ قط ، أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه ، وجعل المنافقون يخذّلون أصحاب رسول الله ويأمرونهم بالتفرّق عنه .

ويذكر أنّ عمر ﷺ استأذن الرسول بقتل هؤلاء فأجابه ﷺ إن لليهود ذمّة فلا أقتلهم، أمّا المنافقون فقد نهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله [٨،جـ١، ص٣١٨؛١٧،جـ١ص١٦٥] .

إنّ تأثير هؤلاء اليهود والمنافقين محدود مادامت القاعدة العريضة أو المسلمون راضين على رسولهم وقائدهم لكن يمكن أن يحدث تأثير في بعض ضعاف النفوس ـ وهؤلاء لا يخلو منهم مجتمع . لذلك وجب الانتباه إلى تحركات الأعداء وإلى الدعايات التي ينشرونها وإلى ما يظهر منهم من دسّ وخبث.

إن العلاقة بين اليهود والمنافقين علاقة واهية فلو يقع إسكات طرف فإن هذا يؤدي إلى إضعاف الطرف الثاني ، فالطرف الذي يمكن المبادرة إلى التصدي له هم اليهود ، وعندما يقع ذلك فإن المنافقين من عادتهم أنّهم لا يتحرّكون إلا في الظلام وبالتالي فهم لا يقوون على المواجهة الواضحة .

لقد أتيحت فرصة التخلص من اليهود المناوئين عندما تلكّأت قبيلة بني النضير اليهودية في المشاركة في دفع ديّة رجلين قتلا خطأ بعد "بئر معونة"[١،جـ٣، ص١٩٣] والحال أن "صحيفة المدينة" تنص على هذا التعاون بين سكان المدينة . ولم يكفهم عدم الإسراع في دفع جزء من الدية بل إنهم حاولوا اغتيال الرسول ﷺ . إن التأخر في دفع الدية وهذه المؤامرة يحملان خيانة وخرقا لبنود "صحيفة المدينة" إلى جانب شماتتهم وسخريتهم من المسلمين بعد أحد .

وبسبب نقضهم لمعاهدة المدينة وكما تقرّه أيضا أعراف اليهود في العقاب (حيث وقع إجلاؤهم في القديم على يد الأشوريين والكلدانيين كعقاب لتنكرهم للمواثيق) ، طلب منهم الرّسول الجلاء عن المدينة [١،جـ٣،

ص١٩٣] وترك ما في حوزتهم من مال وقد تَمّ ذلك في النهاية مع بعض الصعوبات .

المهمّ أنّ جلاء قبيلة بني النضير أسكت المنافقين وجعل الجبهة الداخلية متماسكة . ولم يكن الهدف من إجلاء هؤلاء اليهود هو التعويض على المسلمين الذين لم ينالوا غنائم في أحد بل قامت لأسباب مبدئية وما تتطلبه سياسة الدول في عزل وإقصاء العناصر التي تخلّ بوحدة الجبهة الداخلية .

وبالتالي ليس ما وقع تحرّكه أسباب مادّيّة اقتصادية كما يستنتج ذلك الذين يفسّرون كلّ حركة بالعامل الاقتصادي [٢١؛ ٢٢= تفسير الموضوع] . لكن إذا تحسنّت الظروف المادية للمسلمين بعد الحادثة فإن ذلك كان نتيجة وليس سببا .

وكامتداد للتخلّص من اليهود وجب التوجّه إلى الأعراب المحيطين بالمدينة والذين من طبيعتهم انتهاز ظروف الضعف لمهاجمة مناطق الاستقرار . وهذا ما سيقع من أجل تشتيتهم وعدم تمكينهم من التحرك بحرية .

وبهذه التدابير التي يوجهها الوحي والتدبير الحكيم استمرّت الجبهة الداخلية موحّدة ومطيعة طاعة كاملة للرسول ﷺ وتواصل نشر الدعوة .

ومع كل التدابير السابقة فإنّ المسلمين استفادوا من درس "أحد" حيث إنّهم في الغزوة الموالية وهي " الخندق " التي جندت لها قريش عددا كبيرا من المحاربين يفوق بكثير ما دفعته في أحد ـ لم يغادروا المدينة وحفروا خندقا حولها وقاموا بحرب دفاعية وهي خطة لم يستطع "الأحزاب" التغلّب عليها . وبها انتهت هجومات قريش باتجاه المسلمين وأصبحت المبادرة بأيدي المسلمين والعاقبة للمتقين المخططين الصامدين % .

المراجع

[١] ابن هشام، عبدالملك . *السيرة النبوية* . حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي . ط٣. بيروت إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

[٢] السهيلي ، عبدالرحمن . *الرّوض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام* . تحقيق وتعليق عبدالرحمن الوكيل (القا٩هرة: دار النصر ، ١٩٦٧م).

[٣] ابــن ســعد ، محمــد . *الطبقــات الكبــرى* . بيــروت: دار صــادر - دار بيــروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .
[٤] البخـاري، أبـو عبـدالله محمـد. *صـحيح البخـاري* . اسـطنبول : الناشـر شـعبان فـورت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) .
[٥] ابن حجر العسقلاني . *فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري* . تصحيح وتحقيق ومراجعة محب الدّين الخطيب . ط٤. القاهرة : دار الريـان ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨ م.
[٦] مسلم، أبـو الحسين القشيري النيسـابوري . *صـحيح مسلم* (الكتـب السـتة) . اسـطنبول ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
[٧] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير . *تـاريخ الرسل والملوك* . تحقيق محمد أبـو الفضـل إبراهيم . القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م .
[٨] الواقدي، محمد بن عمر . *المغـازي* . تحقيق مارسدن جـونس . علم الكتـاب ، بيروت: ١٩٦٦ م.
[٩] ابن الأثير، أبو الحسن الشيباني. *الكامل في التاريخ* . ط٦. دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٤٠٦هـ/١٩٧٤م.
[١٠] أكرم ، اللواء آغا إبراهيم . *خالد بن الوليد* . ترجمة إسماعيل كشميري . القـاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٤ م.
[١١] عرجون، محمد الصـادق إبـراهيم . *محمد رسول الله* ﷺ (*منـهج بحث وتحقيق*) . ط١. دمشق: دار القلم . ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
[١٢] ابـن قيم الجوزيـة . *زاد المعـاد فـي هـدي خيـر العبـاد* . تحقيـق وتعليـق شـعيب الأرنـاؤوط وخـالد الأرنـاؤوط . ط١٤. بيـروت ـ سـوريا ـ الكويـت : مكتبـة الرسـالة ومكتبـة المنـار الإسلامية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
[١٣] Cattenoz, H.G . *Table de concordance des Eres chretiennes et Hegiriennes* . 3eme ed. Rabst, s.d.
[١٤] الترمذي، أبو عيسى محمد . *سنن الترمذي* . اسطنبول : الناشر شعبان فورت ١٩٨١م .
[١٥] حجـازي محمـد محمـود . *التفسـير الواضـح* . ط٤. القـاهرة: مطبعـة الاسـتقلال الكبـرى . ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
[١٦] ابن حزم، الإمام الحافظ أبو محمد علي بن أحمد . *جوامع السيرة وخمس رسـائل أخـرى* . تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد . مراجعة أحمد شاكر . القاهرة: دار المعارف.
[١٧] المقريزي، تقي الدين . *إمتاع الأسماع بما للرّسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع* . صححه وشرحه محمود محمد شاكر . مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤١م.
[١٨] البوطي، محمد سعيد رمضان . *فقه السيرة النبويـة مـع مـوجز لتـاريخ الخلافـة الرّاشـدة* . ط١. بيروت، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، ١٩٩١م .
[١٩] العمـري ، أكـرم ضـياء . *السـيرة النبويـة الصـحيحة* . ط١. الريـاض: مكتبـة العبيكـان ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

[٢٠] ابن حنبل ، أحمد . *الفتح الرباني* . *ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني* . ترتيب وتأليف أحمد عبد الرحمن البنا ، القاهرة: دار الشهاب ١٤٠٤هـ .

[٢١] Watt , Montgomery . *Mahomet* . traduit de l`Anglais Paris , 1958-1959.

[٢٢] Djait, Hichem . La Grande discorde (Religion er dans l'islam des origines . Paris Edit . Gallimard, 1989 .

An in-depth Study of the Prophets Biography (As-seera) Through The Battle of Uhud

Al Sadik M. Al Khouni
Associate Professor, Department of Islamic Studies,
College of Education, King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia

Abstracts. The Battle of Uhud represents a significant landmark in the history of the Prophet's biography. In that battle, the Muslims received a defeat, which did not affect the result of the lawful war they were waging in order to convey the Islamic Da`wa and secure its freedom. We study the events of the Prophet's biography because they represent a true embodiment of the teachings of Islam. We also study such events in order to benefit from them in our life. When we study victories, they certainly give us more self-confidence and delpvs our lost morale. We study this defeat on the battlefield in Uhud, for instance, in order to take example. When we are defeated in a battle that does not mean that we have lost the war. We have to rise up afterwards and continue our march since the objective we endeavor to achieve is a sublime religious one. This battle and the other events in the Prophet's biography are full of various lessons because they were led by a Messenger who, first of all , received the Divine Revelation, and who is , secondly, one of the greatest men in history. The research explores

the circumstances in which this battle took place and then it explores the lessons and example, which we can learn and benefit from. The events are expressed with all sincerity and without arbitrariness.